

١ - صُورَة سَلِيَّة ..

رأى هدوء نسبي ، على قاعدة الفضاء المصرية ، في
الصحراء الغربية ، وبدأ مظهرها أشبه بقاعدة مهجورة
خالية ، لولا مكوك الفضاء ، القابع على منصة الإطلاق ،
وتلك الأبخرة الباردة ، التي تتصاعد من قوّة العادم في
قاعدته ، وتلك الأضواء المتألقة في نوافذ مبنى المراقبة ، في
طرف القاعدة ..

وفي هدوء وآليّة ، ارتفع ، غبر مكبرات الصوت ، نداء
قائد القاعدة ، وهو يقول :

— تمت مراجعة كل النقاط ، ومازلنا نواصل العمل
التأزلي ، وسيم الإطلاق بعد خمس دقائق .

عاد الهدوء يسود بعد عبارته ، التي تتكرر كل خمس دقائق
تقريباً ، وراح العاملون بالقاعدة يراقبون شاشة العمل
التأزلي ، التي ترسم فوقها الأرقام بلون أخضر برّاق ،
وبترتيب تنازلي رتيب ، على حين عقد قائد القاعدة حاجبيه ،
داخل قاعة المراقبة ، وهو يفهم :



سلوى



نور الدين



محمود



دمزي

— ستبدأ بعد دقائق واحدة من الرحلات المقلقة في
برنامجنا .

اجتمع مساعده ، وقال :

— عجباً!!.. إننى أراها رحلة روتينية يا سيدى .

قال القائد فى عصبية :

— أخطأت الرؤية إذن .

أخفى مساعده ابتسامته ، وهو يشيح بوجهه ، على حين
استطرد هو فى توكر :

— هل نسيت الغرض من تلك الرحلة ؟.. إنهم فى طريقهم
لستبر أغوار تلك السحابة الكونية الغامضة .
ولوح بكفه ، مردفاً :

— لقد بدأ ذلك منذ أسبوعين ، عندما كشف مرصدنا
الإليكترونى الحديث سحابة كونية ، تعبر مجموعتنا الشمسية ،
وأثار هذا اهتمامهم فى شدة ، فأولوا الأمر جل اهتمامهم ،
ولكن هذا لم يؤد إلا إلى مزيد من الحيرة .

تنهد فى عمق ، وكأنما يستعيد ذكرى تلك الأيام ، وتابع
حديثه ، قائلاً :

— لقد كانت تلك السحابة متألقة على نحو عجيب ،

وكانت تتخذ مساراً حلزونياً ، يؤكد حمية عبورها غلافنا
الجوى ، فى طريقها إلى الشمس .

غمغم المساعد فى خفوت :

— لقد أبلغونا بذلك رسمياً .

رفع القائد سبابته ، وقال فى حزم :

— هناك ما لم يبلغونا به رسمياً .

التفت إليه مساعده فى اهتمام ، وهو يقول :

— ما هذا يا سيدى ؟

ازداد انعقاد حاجبي القائد ، وهو يقول :

— لقد حاول العلماء تحليل مكونات تلك السحابة
الكونية ، بواسطة المنظار الطيفي^(*) ، ولكن النتائج جاءت
مثيرة ومقلقة ، إذ تبين أن مواد تلك السحابة الغامضة
مجهولة ، وغير معروفة تماماً ، مما يجعل نتائج عبورها لغلافنا
الجوى مجهولة ، وغامضة .

صمت لحظة ، ثم أزدف فى صوت مرتجف :

— ومخيفة .

(*) المنظار الطيفي (سبكروسكوب) : عبارة عن منظار ، يلتقط
ألوان الطيف ، ويرسم لكل معدن معروف خطوطاً سوداء خاصة ، فى
منطقة من مناطق الطيف ، يمكن بواسطتها تحديد كل المعادن المعروفة .

انتقل توثره إلى مساعده ، وهو يغمغم :

— ماذا تقصد يا سيدي ؟

تنهّد القائد ، وقال :

— إنها مادة مجهولة ، لا أحد يدري ما إذا كان التقاؤها

بغلافنا الجوي ، بكل مكوناته الغازية ، سيمضي في سلام ، أو

ستنشأ عنه تفاعلات جديدة ، أو قاتلة .

غمغم المساعد في توثر بالغ :

— يا إلهي !!

واصل القائد حديثه ، قائلاً :

— لم يكن هناك حل ، لحسم ذلك الموقف ، سوى إرسال

سفينة فضائية ، للحصول على عينة من مادة السحابة الكونية ،

والعودة بها إلى الأرض ، لدراسة مكوناتها ، واتخاذ ما يلزم

لضمان عدم الإضرار بالأرض .

وتنهّد مرة أخرى ، قبل أن يتابع :

— ولعلك تذكر كيف أطلقنا سفينة آليّة ، في الأسبوع

الماضي ، وكيف أنها لم تكّد تقترب من السحابة ، حتى أصابها

خلل تام ، وفقدنا كل اتصال بها ، فضاعت في الفضاء ، ولم

نعرف أبداً ما الذي وجدته .

غمغم المساعد في رهبة :

— ربّاه !!.. لقد تصوّرت آنذاك أنه

قاطعه قائده في توثر :

— لقد أخفوا الخبر بالطبع ، وأحاطوه بدرجة من

السريّة ، خشية إثارة موجة من الفرع والدّعر ، قبل تبين

الأسباب الحقيقيّة لما حدث ..

رأى عليهما الصمت لحظات ، ثم ارتفع صوت آليّ يقول :

— انتهى العدّ التنازلي .. الإطلاق الآن ..

لم يكّد ذلك الصوت المعدنيّ يلقي آخر حروفه ، حتى

انطلق شلال من نيران بيضاء ، من فوهة عادم مكوك

الفضاء ، الذي انطلق بلا صوت تقريباً وبسرعة مذهلة ، قاده

إليها ذلك الوقود الأمنيّ الخاص ، الذي تمّ ابتكاره في

السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، وتابع القائد ومساعدته

انطلاق المكوك ، حتى تجاوز الغلاف الجويّ ، فغمغم القائد ،

وقد تضاعف توثره على نحو ملحوظ :

— هذا المكوك يحوي ثلاثة رؤاد فضاء بشريين ، بعد أن

قرّر الخبراء أنه من المحتّم قيادة المكوك يدويّاً ، لتفادي أيّة

اضطرابات إلكترونية ، أو كهرومغناطيسية ، قد تنشأ من

تلك السحابة المجهولة .

غمغم مساعدته في توثر ، وهو يتابع شاشة الرّاصد :

— بهذه السرعة المذهلة ، سيبلغون السحابة قبل نصف يوم .

وافقه قائده بإيماءة من رأسه ، وقال :

— نعم .. وبعدها ستتوصل إلى ما نريد . أو

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

— أو نفقد مزيدا من الضحايا .

« لقد اقتربنا من السحابة .. » ..

عبرت تلك الحملة أجهزة الاتصال ، فارتجفت أجساد

طاقم المراقبة في انفعال ، بعد نصف يوم من الانتظار ، ومال

قائد القاعدة نحو بوق جهاز الاتصال ، وقال :

— من القاعدة إلى المكوك .. هل تعمل كل الأجهزة بانتظام ؟

أجابه قائد المكوك :

— كل شيء يسير على ما يرام ، ونحن نقرب من السحابة

الغامضة ، وهي تبدو شديدة التألق ، كأنها هي مصنوعة من

الفضة الخالصة ، و

بتر الرجل عبارته بغثة ، وانطلقت من حنجرتة شهقة

قوية ، ارتجفت لها أجساد طاقم المراقبة كله ، قبل أن يهتف قائد

القاعدة في توثر :

— ماذا حدث ؟ .. أجب بالله عليك .. ماذا حدث ؟

أتاه صوت قائد المكوك ، يهتف في دُغر :

— هذا مستحيل !! .. ولكننا نراه في وضوح .. في وضوح
كامل .

صرخ قائد القاعدة في انفعال رهيب :

— ما الذي ترونه ؟ .. ما الذي ترونه ؟

هتف قائد المكوك في ارتياح :

— لن تصدقوني .. لن يصدقني أحد .

صرخ القائد في مرارة :

— أخبرنا ما ترونه بالله عليك ، ودع لنا مهمة التصديق من

عدمه .

مضت لحظة من الصمت ، بدت للجميع أشبه بدهر

كامل ، قبل أن يرتفع صوت قائد المكوك ، هاتفا :

— هناك كوكب كامل .. كوكب مأهول ، خلف السحابة .

ارتسم الذهول على وجوه الجميع ، وتبادلوا نظرات

ارتياح ، قبل أن يغمغم قائد القاعدة في ذهول :

— ماذا تقول يا رجل ؟ .. هل أصابك الجنون ؟

هتف قائد المكوك :

— ربما .. ربما أصابنا الجنون جميعا ، فثلاثتنا نرى الشيء

نفسه .. كوكبا ضخما ، أشبه بصورة سلبية .. كوكبا يشبه

الأ



اتسعت عينا قائد القاعدة ، وهو يتراجع هاتفًا في ارتياح :

— اختفى ؟..

صرخ فجأة ، باتراً عبارته ، ومستطردًا في ارتياح :
— هناك مكوك فضائى ينقض علينا .. إنه أيضًا أشبه
بصورة سلبية .. إنه سيرتطم بنا مباشرة .. إنه

انطلق من جهاز الاتصال فجأة أزيز عنيف ، وصراخ
بشرى مُزعج مخيف ، هوت له قلوب الجميع بين أقدامهم ،
قبل أن يسود صمت تام ، غير أجهزة الاتصال ، ويصرخ
مراقب الرادار الفضائى فى رُعب :

— لقد غير المكوك السحابة الغامضة .. و .. و ..
صرخ به قائد القاعدة :

— وماذا ؟

انهار الرجل ، وهو يجيب فى مرارة :

— واختفى .. اختفى تمامًا ..

اتسعت عينا قائد القاعدة ، وهو يتراجع هاتفًا فى ارتياح :
— اختفى ؟..

ولم يحرك أحد الحاضرين جوابًا ..

لقد بقى الصمت ..

الصمت التام ..

٢ - المتطوع ..

رفع الرائد (نور الدين) كفه ، أمام جهاز تحقيق الشخصية ، في حجرة أمن مبنى إدارة المخابرات العلمية ، وانتظر هادئاً ، حتى أضاءت شاشة الجهاز بلون فيروزي ، وتراصت فوقها كلمات صفراء مضيئة ، تقول :

— رسم البصمات مطابق .. المسام العرقية مماثلة .

أبعد (نور) كفه عن الجهاز ، وغمغم حارس الأمن ، في لهجة أقرب إلى الاعتذار :

— إنها التعليمات يا سيادة الرائد .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .

ثم دلف عبر الباب الواسع للإدارة ، ووقف ساكناً ، عاكفاً كفيه خلف ظهره ، على حين راح الطريق المتحرك يسير به نحو بوابة أخرى ، عبرها (نور) ، وتخلّى بعدها عن الطريق المتحرك ، وابتعد على قدميه يساراً ، حتى بلغ حجرة مربعة

صغيرة ، وقف في منتصفها ثابتاً ، على حين انبعث ضوء ووردي خافت ، سقط على وجهه لحظات ، ثم تراجع في خفوت ، وراحت أرضية الحجرة تهبط تحت (نور) ، حتى توقفت أمام باب حلزوني ، انفتح في خفوت ، فقبره (نور) إلى حجرة فسيحة ، اجتازها في خطوات واسعة ، وتوقف أمام مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وأدى التحية العسكرية ، قائلاً :

— الرائد (نور الدين) في خدمتك يا سيدي .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وقال :

— لن نبادل حديثاً طويلاً يا (نور) ، قبل أن تستمع إلى تلك التسجيلات .

لاذ كلاهما بالصمت تماماً ، على حين راح (نور) يستمع في اهتمام ، إلى تلك التسجيلات ، التي دارت بين القاعدة ومكوك الفضاء ، وانعقد حاجباه ، وتوترت عضلات وجهه في شدة ، عندما بلغ النهاية ، واجتاحه انفعال قوي ، حتى أنه لم ينبس ببنت شفة ، وكذلك القائد الأعلى ، لخمس دقائق كاملة بعد انتهاء التسجيلات ، إلى أن قطع (نور) حاجز الصمت ، مغمغماً في صوت أجش :

— هل اختفوا تماماً ؟

تنهّد القائد الأعلى ، مغمغماً :

— تمامًا :

ثم استعاد صوته حزمه ، وهو يستطرد :

— ولكنهم تركوا لنا عشرات المخاوف والألغاز .

أجابه (نور) في انفعال :

— بالتأكيد ، فطبقاً لحديثهم ، هناك كوكب غامض ،

خلف تلك السحابة .. كوكب لم تلتقطه أجهزتنا ، أو مناظيرنا
الفلكية المتطورة .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من ذقنه ، وقال :

— يقول خبراءنا إنه من المحتمل أن يكون ذلك الكوكب

عبارة عن سفينة فضائية ضخمة ، من كوكب آخر ، وأن تلك
السحابة ليست سوى وسيلة تخفّ ، تُوجي بأن غرض تلك
السفينة الضخمة هو الغزو .. غزو كوكبنا .

ارتجف جسد (نور) للفكرة ، وغمغم :

— يا إلهي !!

ثم أزدف في توثر :

— وما الوسيلة للتحقق من ذلك يا سيدي ؟

هزّ القائد الأعلى كفيه ، وقال :

— يُصيرُ بعض علمائنا على أن الأمر أوضح من أن نتحقق

منه ، خاصة وأن مكوكنا فضائياً مجهولاً هاجم مكوكنا ، قبيل

اختفائه ، بحسب التسجيلات ، ولكن البعض الآخر يرى

حتمية التحقق من ذلك ، خاصة وأنا ما زلنا نجهل طبيعة تلك

السحابة الغامضة ، ومخاطر مرورها بغلافنا الجوي .

وتنهّد مرّة أخرى ، قبل أن يستطرد :

— المشكلة هي أننا نحتاج إلى مكوك فضائي قتالي ، يقوده

بشرى ، يمكنه أن يقاتل ، وأن يعدّل لحظته وخط سيره ، طبقاً

للتغيرات الأمور ، و

بتر عبارته ، ولاذ بالصمت لحظات ، فأكمل (نور) في

حزم :

— باختصار ، أنتم تحتاجون إلى متطوع يا سيدي .

تطلّع إليه القائد الأعلى بعينين مشفقتين ، قبل أن يغمغم في

صوت خافت :

— بالضبط .

ثم أسرع يضيف :

— ولقد زوّدنا المكوك الفضائي هذه المرّة ببرنامج خاص ،

يقود مساره كله إلى العودة ، فور تعرّضه لخطر داهم ، أو

تعرض أجهزته لأي نوع من الخلل ، تحت تأثير موجات
كهرومغناطيسية ، أو استاتيكية ، و.....

قاطعه (نور) في هدوء :

— إننى أظن يا سيدي .

صمت القائد الأعلى تمامًا ، ثم غمغم في صوت خافت
للمغاية :

— كنت أتوقع ذلك .

رأى عليهما صمت تام ، قبل أن يرفع القائد الأعلى عينيه إلى
(نور) ، ويقول في لهجة أقرب إلى العطف الأبوى :

— لسنا نطالبك بالتضحية بحياتك ، من أجل الأرض

يا (نور) ، وهذا يعني أنه عليك أن تعود فورًا ، إذا ما شعرت
بأنك تواجه خطرًا داهيًا ، أو.....

قاطعه (نور) ، وهو يتسم في هدوء :

— اطمئن يا سيدي ، سيسير كل شيء على مايرام بإذن الله .

وسرت في ابتسامته موجة مرتبكة ، مضطربة ، متوترة ،

وهو يزدف :

— بقدر الإمكان .

تلاأت دمة قلقة ، في عيني (سلوى) ، وهي تتطلع إلى
زوجها ، وتغمغم في حزن وحفوت :

— أومن الضروري أن تذهب ؟

أجابها (نور) في هدوء :

— إنه عملي .

غمغمت في حزن :

— لقد تطوَّعت .

صمت لحظة ، ثم أجاب :

— إنها طبعي .

انحدرت دمة حزينة على وجنتيها ، وهي تغمغم :

— (نور)

التفت إليها ، وارتفع حاجباه في حنان وإشفاق ، وهو

يقول :

— ماذا تريد يا زوجتي العزيزة ؟

سأله في صوت بالك :

— هل ستعود ؟

انتقل حزنها إلى عينيه ، وهو يغمغم :

— لست أدري .

ثم أجبر شفتيه على الابتسام ، مستطرذا :

— هل ستنتظريني ؟

هتفت في حرارة :

— حتى آخر العمر .

ثم ألقت نفسها بين ذراعيه ، وتركت لدموعها العنان ، وهي تهف :

— (نور) ... سأذهب معك .. سنحيا معا أو نموت معا .

ضمها إليه في حنان ، وتحسس شعرها ، مغمغما :

— كنت أتمنى ذلك يا عزيزتي ، ولكن رحلتى لا تتسع إلا لبشرى واحد .

تفجرت دموعها في صدره ، فربت على ظهرها ، مستطرذا :

— سأعود بإذن الله يا (سلوى) .. أعدك أن أبذل أقصى طاقتي لأعود ..

هتفت في حرارة :

— نعم يا (نور) .. ستعود .. ستعود حتما بإذن الله .

« هنا الرائد (نور الدين) .. من مكوك الفضاء

(نصر ٦٠٠) .. إننى أقرب من الهدف .. وأراه أمامى فى وضوح .. »

انتقلت تلك الرسالة ، من الفضاء إلى الأرض ، واستقبلتها أجهزة قسم المراقبة ، فى القاعدة الفضائية ، فغمغم قائد القاعدة فى توثر :

— نفس الرسالة .

أجابه مساعده :

— كم أتعشّم ألا تنتهى بنفس النهاية .

ران عليهما الصمت ، وهما يستمعان إلى (نور) ، الذى أخذ يقول :

— لست أرى شيئا من هنا .. فقط سحابة لامعة متألقة ،

كسطح من الفضة ، ولكن لا كواكب أو سفن فضاء .

بداله كل شيء هادئا ساكنا ، وهو يتجه نحو السحابة ، ثم لم تلبث أجهزة الالتقاط فى القاعدة ، أن نقلت شهقة قوية من حنجرتة ، جعلت قائد القاعدة يهتف فى دُعر :

— ماذا حدث أيها الرائد (نور) ؟ .. ماذا حدث بالله عليك ؟

أتاه صوت (نور) مغمغما بالانفعال ، وهو يقول :

— لقد رأيته فجأة .. ذلك الكوكب الذى تحدثوا عنه ..

إنه يشبه حقًا صورة سلبية ، ولكن

بتر عبارته دفعة واحدة ، ليهتف :

— يا إلهي !!

صاح قائد القاعدة في ارتياح ، وقد أعاد الموقف إلى ذهنه
أحداث الرحلة السابقة :

— ماذا حدث هذه المرة ؟

هتف (نور) :

— إنه نسخة من كوكب الأرض .. نسخة سلبية معكوسة ..

إنه خلف السحابة .. لا بد من اختراقها للوصول إليه .

صاح القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذي كان
يستمع إلى الحديث :

— لا تخترقها يا (نور) .. أخذ منها عينة فحسب ، وغد

على الفور ، لا تحاول اختراقها أبدا .

أتاه صوت (نور) يقول :

— فات الوقت يا سيدي .. يبدو أن تلك السحابة اللعينة

تجذبني إليها .

صاح القائد الأعلى في دُغر :

— غُد يا (نور) .. غُد على الفور .. قُم بتشغيل برنامج

العودة الآلي ، وغُد .

ضغط (نور) زر تشغيل جهاز العودة الآلي ، ثم اتسعت

عيناه في ذهول ، وهو يهتف :

— لقد ظهر أمامي فجأة مكوك فضائي سلبى .. إنه

سيصطدم بي مباشرة .. إنه

وفجأة صدر ذلك الأزيز القوي ، و

واختفى مكوك (نور) من فوق شاشة الرادار الفضائي ..

اختفى تماما ..



٣ - المطارد ..

ارتجاجة قويّة أيقظت الرائد (نور) ..
ارتطام عنيف استعادة من غيبوته ..
وراح المكوك الفضائي يتأرجح في بطاء ، كأنما هو يسبح
فوق بحر هادئ ، على حين فتح (نور) عينيه في بطاء ..
وكان الظلام يسود قلب المكوك تماما ..
ظلام دامس ..
وتأوه (نور) في ألم ، وهو يمسك جانبي رأسه ..
كان يشعر بصداع عنيف ، يمتد من جانبي رأسه إلى أذنيه ،
إلى مؤخرة عنقه ..
ولم يكن يدري ماذا حدث ..
آخر ما يذكره هو ثورة من الجنون ، أصابت أجهزة
المكوك ، عندما اصطدم بذلك المكوك السلي ..
ارتباك هائل أصاب كل شيء ..
كل النظم الآلية ..



كان يشعر بصداع عنيف ، يمتد من جانبي
رأسه إلى أذنيه ، إلى مؤخرة عنقه ..

— وماذا لو كان الجو خارجاً لا يصلح للحياة ؟ .. إننى
لا أرتدى زى الفضاء الخاص ، و

بتر عبارته لحظة ، ثم غمغم فى حزم :

— كلاً يا (نور) .. لقد تعطلت كل أجهزة المكوك ، بما
فى ذلك أجهزة إنتاج الأكسوجين ، وهذا يعنى أن كل
ما أتفسه الآن يأتى من مصدر طبيعى .. من الخارج .
وفى حزم ، وبأسلوب رجل يثق فى صدق استنتاجه تماماً ،
أدار مقبض الباب ، وفتحته ، و

وواجه الموقف ..

فى البداية بهره ضوء الشمس ، فأغلق عينيه فى ألم ، ثم راح
يفتحهما فى ببطء ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

لقد كان المكوك يسبح فوق بحر ..

وكان هناك شاطئ صخري قريب ..

وشمس ساطعة ..

وطيور ..

وسحب ..

كل هذا كان من الممكن أن يبدو مشهداً طبيعياً ..

كل أجهزة الكمبيوتر ..

كل البرامج المعدة مسبقاً ..

ثم تذكر كيف حاول الانتقام إلى القيادة اليدوية ، وتشغيل
برنامج العودة ، و

وبعدها لا يذكر شيئاً ..

فقط يشعر بذلك الصداع المؤلم ..

ولكن أين هو ؟ ..

هل عبر السحابة الفضائية المخيفة ؟ ..

هل هبط على ذلك الكوكب الآخر ، المماثل للأرض ؟ ..

عشرات الأسئلة كانت تُعربد فى رأسه فى عنف ، لتختلط

بصداعه المؤلم ، فيصنعان مزيجاً رهيباً ، مخيفاً ..

ثم هناك الصمت ..

الصمت التام المحيط به ..

ولكنه تنفس ..

ما زال الجو المحيط به يصلح للتنفس إذن ..

اعتدل واقفاً على قدميه ، وراح يتحسس طريقه ، بحثاً عن

طريق الخروج ، حتى عثر على مقبض الباب ، فتردد لحظة ،

وهو يغمغم .

لولا الألوان ..

أو بمعنى أدق ، لولا عدم وجود ألوان ..

لقد كان المشهد كله يتكوّن من اللونين : الأبيض والأسود فقط ..

وعلى نحو معكوس ..

تماما كصورة سلبية (نيجاتيف) ، من اللونين : الأبيض والأسود ..

ودارت رأس (نور) ..

مادت به الأرض ، وهو يحاول التثبّت بحافة الباب ..
إنه ليس في عالمه ..

لقد هوى به مكوك الفضاء في ذلك العالم الآخر ..
في الكوكب السلبي ..

تغلّب على ذهوله ومرارته في صعوبة ، وعاد إلى المكوك ،
محاوّلًا إصلاحه ، إلا أن ذلك قد بدا له مستحيلا ، نظرا لقلّة
خبرته ..

ومرّة أخرى عاد يتطلّع إلى ذلك العالم العجيب ..

ومرّة أخرى عاوده ذلك الصّداق المولم ..

كان من العسير على عينيه أن تستوعبا ذلك العالم السلبي
المعكوس ، بلونيه : الأبيض والأسود ..

هو نفسه بدا كجزء من الصورة ، بثوبه الأسود ، وقفازيه
السوداوين ..

ولكن عليه ألا يستسلم ..

صحيح أنه لا يدري كيف هبط على سطح ذلك الكوكب ،
ولا كيف يمكنه أن يعود إلى عالمه ، ولكنه لن يستسلم ..
لن يستسلم أبدا ..

وفي حزم ، قفز في الماء ، وراح يسبح نحو الشاطئ
الصخري ..
نحو الأمل ..

اقتحمت (سلوى) حجرة الدكتور (عبد الله) ، مدير
إدارة البحث العلمي ، التابعة للمخبرات العلمية ، وهي
تهتف في غضب :

— أين زوجي يا دكتور (عبد الله) ؟

نهض الدكتور (عبد الله) من خلف مكتبه ، وهو يقول :

— مرحبا يا (سلوى) .. اجلسي .. سنناقش الأمر ، و.....
هتفت في جدّة :

— لست مستعدة لمناقشة أية أمور .. أريد زوجي فحسب ..

زفر الدكتور (عبد الله) في توثر ، وعاد يجلس ، ويضم
كفيه على سطح مكتبه ، قائلاً :

— من الواضح أنه قد حدث خلل ما ، في برنامج العودة
الآلى ، و.....

قاطعته في عصية :

— وماذا ؟

زفر مرة أخرى ، ثم قال في توثر :

— اسمعى يا (سلوى) .. إننا لم نقتل زوجك .. لقد
تطوع للمهمة بمحض إرادته .

تفجرت الدموع من عينيها بغته ، وهى تقول :

— أعلم ذلك .. لقد تطوع بمحض إرادته .

ثم انخرطت فجأة في بكاء شديد ، جعل حاجبا الدكتور
(عبد الله) يرتفعان في إشفاق ، وهو ينهض من خلف مكتبه ،
ويربّت على كتفها ، مغمماً :

— هذا لا يعنى أن نتخلّى عنه .

سأله باكية :

— وماذا يمكنك أن تفعل ؟

تنهد مغمماً :

— الكثير .

ثم أضاف في توثر :

— سنرسل فرقة .. فرقة بحث ..

بلغ (نور) الشاطئ الصخرى ، وتسلق الصخور في
صعوبة ، حتى بلغ منطقة مسطحة ، ألقي جسده فوقها ،
وراح يلهث في شدة ، من فرط ما بذله من جهد وانفعال ..
لم يكن قد تآلف بعد مع تلك المشاهد ، في ذلك العالم ،
الذى يبدو حوله كـ (نيجاتيف) لصورة غير ملونة ..

وأدار بصره يبحث عن مكوكه الفضائى ، ولكنه لم يجد له
أثراً ، إذ بات من الواضح أنه قد غاص في الماء ..

وفى محاولة مستميتة ، راح (نور) يجبر جسده على
الاسترخاء ، ليفكر ..

لقد فقد مكوكه الفضائى ، ولم يعد يملك وسيلة للعودة إلى
عالمه ، وهذا العالم المحيط به يبدو شبيهاً بالأرض ..

نعم ..

لقد رأى ذلك الكوكب ، قبل أن يبط على سطحه ..

رآه أشبه بصورة سلبية لكوكب الأرض ..

كل شيء هنا سلبى إذن ..
ولكن هل توجد هنا حياة ؟ ..

بالطبع ..

لقد هاجمه مكوك سلبى أيضا ..

ينبغي أن يركز تفكيره ، ويستعرض الأمر في هدوء ..

كل الظواهر تؤكد أنه على كوكب مشابه للأرض ..

كوكب عكسى سلبى ..

تماما كنسخة سلبية معدة للطبع ..

وستكون هناك مخلوقات سلبية ..

وتكنولوجيا ..

كل ما عليه هو أن يجد طريقه إلى إحدى قواعدهم

الفضائية ، ويسرق مكوكا فضائيا منهم ، ثم يعود إلى كوكبه ..

إلى عالمه ..

يا إلهى !! .. كم بدا القول سهلا ، وكم يبدو الفعل عسيرا ..

لا ريب أن مخلوقات هذا الكوكب قد رصدت هبوطه ..

ولا شك في أنهم سيطاردونه ..

سيسقون لاقتناصه وأسره ..

سيحاولون الإمساك به ، لدراسته وتشريحه ..

لتحويله إلى حيوان تجارب ..

إلى فأر مختبرات ..

ولكن هيهات ..

سيثبت لهم أنه ليس بالفريسة السهلة ، وأنه مقاتل شرس

شجاع ، ذو بأس وجسارة ..

سيقاتلهم حتى آخر رمق ..

سيقاتل وحده عالمهم كله ..

وفجأة .. بدت أمامه هليوكوبتر نفثة ، من ذلك العالم ..

ورأى تلك الهليوكوبتر تنقض عليه ..

وكانت تنقض في صمت تام ..

وفي رشاقة ، قفز منها جسدان ، أشبه بأجساد البشر ،

يرتديان ثوبين يخفيان كل جسديهما ، تماما كثياب رواد

الفضاء ..

ورآهما (نور) يصوبان قضيئين معدنيين إليه ، في صمت

رهيب ..

وأيقن من أن اللحظة قد حانت ..

لحظة القتال ..

٤ - المُقاتِل ..

تحرك (نور) في سرعة مذهشة ..
قفز من مكانه في مرونة بالغة ، وانقضَّ على الرجلين ،
الذين تراجعاً في دهشة ولم يقاوماه ، عندما رفع قدمه في
سرعة ، وركل بها أحدهما في وجهه ، ثم استدار إلى الآخر ..
ولقد أدهشه رد فعل الآخر كثيراً ..

إنه لم يهاجم ..

إنه حتى لم يحاول ..

لقد تراجع في دُعر واضح ، ولوّح بذراعيه في قوّة ..
وهناك فقط تنبّه (نور) إلى نقطة مُذهلة ، لم ينتبه إليها
إلا الآن ..

إنه ، ومنذ هبوط المكوك في ذلك العالم ، يعيش في
صمت تام ..

صمت رهيب ..

ربّما لأن ذلك العالم بلا أصوات ..
أو لأنه هو فقد حاسة السَّمع ..



وفي رشاقة ، قفز منها جسدان أشبه بأجساد البشر ، يرتديان ثوبين
يُخفيان كل جسديهما ، تماماً كثياب رواد الفضاء ..

لقد كان ذلك الطين ، الذى يدوى فى عقله ، يحجب عنه
تلك الحقيقة ..

وبكل ما يملك من قوة ، صرخ (نور) ..
ولكنه لم يسمع صرخته ..
لقد فقد حاسة السمع ..
فقدتها تمامًا ..

وفجأة .. انتفضت كل خلية من خلايا جسد (نور) ..
لقد أمسك الرجل الثانى بذراعه بغتة ..
وبكل ما يملك من نفسه من توثر وغضب وانفعال ، دار (نور)
على عقيقته ، ولكن الرجل بكل ما يملك من قوة ، ثم انتزع من
حزام الرجل مسدسًا ليزريًا ، هو صورة طبق الأصل من
مسدساتهم الأرضية ، وصرخ :
— لن تمسكوا أبدا ..

ولم يسمع صرخته ..
كان من الواضح أن الرجل قد سمعها ؛ لأنه عاد يتراجع فى
جدة ، ولكنه هو لم يسمعها ..
وأدرك الحقيقة ..
لقد فقد حاسة السمع ..

وفى مرارة ، تراجع هاتفا :

— مهما حدث .. مهما حدث ..

ثم ألقى بنفسه من فوق الصخور ، وغاص فى أعماق بحر
بلا ألوان ..

عقد (محمود) حاجبيه ، وأخذ يفرك كفيه فى عصبية ،
وهو يقول لأفراد فريق (نور) ، الذين اجتمعوا فى منزل هذا
الآخر :

— سحابة غامضة ، وكوكب سلبى مماثل ، ومكوك
فضاء آخر .. ما الذى يمكن أن يقودكم إليه كل هذا يارفاق ؟
مسحت (نشوى) دموع حزينه ، انحدرت على وجنتها ،
وغمغمت :

لقد استشرت الكمبيوتر ، فمنحنى استنتاجا مخيفا ..

سألها (رمزي) فى اهتمام :

— أيتوافق مع استنتاجى ؟

أومأت برأسها ، مغممة :

— إلى حد ما ..

هتفت (سلوى) فى حدة :

— فلتذهب كل هذه الاستنتاجات إلى الجحيم .. المهم
هو أن نستعيد (نور) .

التفت إليها (رمزي) ، قائلاً في هدوء :

— هذا هو الغرض الرئيسى من كل ما نفعله يا (سلوى) ،
فهدفنا من كل هذه المحاولات هو استعادة (نور) .
ثم أطرق بعينه ، متحاشياً مواجهة عينها ، وهو يستطرد
في مرارة :

— لو أنه على قيد الحياة .

غاص (نور) في أعماق البحر ، وراح يضرب بذراعيه في
قوة ، ويدفع جسده إلى الأمام ، ويقاوم خيخته ، إزاء تلك
الصُّور المعكوسة ، السليّة ، لأعماق البحر ، على حين
تصاعد الطنين في أذنيه ، وتزايد صداعه في عُنف ..
ومن أعماقه ، تصاعدت موجة عارمة من المرارة ..
مرارة هائلة ، اجتاحت كيانه كله ..
مرارة لم تنته ، حتى بلغ شاطئاً خلفياً ، فصعد إلى السطح ،
واختفى بين زوج من الصخور الناتئة ، وراح يلهث في انفعال ،
ويدرس موقفه ، من خلال موجة المرارة التي تجتاحه ..

ها هو ذا في أسوأ موقف عرفه منذ بدأ عمله ..
بل منذ مولده ..

إنه على سطح كوكب غريب ..
وعالم آخر مُخيف ..

بلا وسيلة للفرار ..
وبصداع عنيف ..

وطنين رهيب ..
وصمم ..

ولكنه لن يستسلم ..

على الرغم من كل هذا لن يستسلم ..

وفي توأثر ، راح يتحسّس المسدّس الليزرى ، الذى انتزعه
من رجل ذلك العالم الآخر ، ويتطلّع إليه في خيرة ..

هذا المسدّس بالذات يثبت صحة نظريته ..

إنه يشبه تماماً مسدّسات الأرض ..

لولا انعدام الألوان وانعكاسها .

هذا يؤكّد أن ذلك العالم يشبه الأرض تماماً ..

إنه صورتها السليّة ..

قرينها المعكوس ..

عالم آخر ، يتدفق نحو عالمه ..

وهو في هذا العالم كائن غريب ..

كائن مجهول مخيف ..

من المؤكد أنهم سيتطلعون إلى تون جسده في ذهول

وخيرة ، وهم يقارنونه بألوان أجسادهم البيضاء والسوداء ..

هذا لو أنهم أوقفوا به ..

ابتسم في مرارة ، وهو يفهم بصوت مسموع :

— لن يفعلوا أبدا .

وفي هدوء ، راح يتطلع إلى مؤشر الطاقة في المسدس ، ثم

أزاح زرا في جانبه ، وهو يستطرد :

— سأذكر شحنة خاصة من الطاقة ؛ لأضمن أنهم لن

يفعلوا .

تنهد في غمق ، وأردف في توثر :

— لو أن القواعد هنا تشبه مثيلتها على كوكب الأرض .

قال هذا ، وراح يتطلع إلى ذلك العالم الممتد أمامه في

خيرة ..

كان من العسير على عينيه أن تتألفا مع تلك الصورة السلبية

المعكوسة ، على الرغم من محاولاته المستمرة لذلك ..

وكان أكثر ما يضايقه هو ذلك الصمم ، الذي يحجب عنه

كل الأصوات ..

ومن بعيد لاح له جسد يقترب ..

وبكل تركيز ، حاول تمييز ذلك الجسد ..

وفجأة برز أمامه جسد بشري ، لرجل يرتدى زيا أشبه

بزي رجال الفضاء ..

وهب (نور) من مكانه ، وانقضَّ فجأة على الرجل ،

وكال له لكمة في معدته ، وهو يهتف :

— ابتعد يارجل .

انثنى الرجل في ألم ، ولم يلمح (نور) ملامح الرجل ، من

خلف زجاج خوذته اللامع الداكن ، الذي يبرق ببريق أسود

مخيف ، ولكنه كان واثقا من أنه يشبه الملاح البشرية تماما .

وضم قبضتيه في قوة ، وهوى بهما على مؤخرة عنق

الرجل ، فأسقطه أرضا ، وخامرته رغبة قوية في أن يرى وجه

الرجل ، فانحنى ، وتردد لحظة ، ثم انتزع خوذة الرجل دفعة

واحدة ، وتراجع في جدة ..

نفس ما توقعه تماما ..

وجه بشري بلا ألوان ..

٥ - السُّقُوط ..

تقافزت أصابع (نشوى) فوق أزرار الكمبيوتر في سرعة
وانفعال ، وهى تتابع ما يتراس على الشاشة من حروف
وكلمات ، قبل أن تعادل جالسة ، وتهتف في حدة :
— لقد كنت على حق يا (رمزى) .. استتاجك صحيح
تماماً .

قالت (سلوى) فى عصبية :
— هل سيعيد إلينا هذا (نور) ؟
رمقها الجميع بنظرة مُشْفِقة ، وقال (رمزى) :
— ماذا تقول آخر تقارير البحث ؟
أجابه (محمود) فى توتر :
— إنهم يؤكدون أن المكوك قد تحطم .
هتفت (سلوى) فى انزعاج :
— و (نور) ؟!
ناولها ورقة مطوية ، قائلاً :
— هذا ما وصل بشأنه .

وجهه سلبى معكوس ..

وفى مرارة تراجع (نور) ، وأشاح بوجهه ، مغمغماً :
— لا بُدَّ لى من مغادرة ذلك العالم .. لا بُدَّ ..
ودس المسدس الليزرى فى حزامه ، وسار فى خطوات
متثاقلة إلى خارج مخبئه ..
وفجأة تسمر فى مكانه ..
لقد كان المكان محاطاً بعشرة رجال ، يرتدون نفس الزي
الفضائى ..

لقد وقع (نور) ..
وقع الرائد الأرضى فى الفخ .. فُخ العالم الآخر ..



التقطت الورقة ، وفَضَّها في لففة ، والتهمت محتوياتها
بعينها التهاقما ، ثم هتفت :

— أتعنى هذا أن (نور) على قيد الحياة ؟

أوما (رمزي) برأسه إيجابًا ، وقال :

— هذا صحيح ، ولكنه في موقف لا يُحسد عليه .

وشرد ببصره مستطرِّدًا في قلق :

— إنه ضائع في عالم مجهول .

توَّثرت عضلات وجه (نور) في شدَّة ، وتحفَّز جسده
كله للقتال ، مديراً عينيه فيما حوله ، وفيمن يحيطون به ، وهو
يقبض على المسدس الليزرى في قوَّة ..

كان من الواضح أنه من المستحيل أن يتغلَّب على الرجال
العشرة ، وهو لا يملك سوى مسدس ليزرى واحد ..
ولكنه يأبى أن يستسلم ..

يرفض أن يتحوَّل — في هذا العالم — إلى حيوان مختبر ..
وبهذه الفكرة وحدها أطلق (نور) أوَّل خيط من خيوط
أشعة المسدس الليزرى ..

حتى خيط الأشعة كان عجيبيًا ، في هذا العالم ..

لقد كان خيطًا داكنًا .. رماديًا .. مدهشًا ..
ولكنه أصاب هدفه ..

أصاب كتف أحد الرجال العشرة ، الذين تراجعوا في
دهشة ، وكأنما لم يكن أحدهم يتوقَّع أن يهاجم (نور)
أبدًا ..

واندفع أحدهم نحو (نور) وهو يلوح بذراعيه ..
كان من الواضح أن يهتف بشيء ما ، ولكن (نور) لم
يسمعه ..

لقد تساءل فقط ، كيف ستكون لغة أهل هذا العالم
المعكوس ؟! ..

هل ستكون معكوسة أيضًا ؟! ..

ولكنه لم يبحث عن الجواب ..

لم يحاول حتى أن يفعل ..

لقد أدار قُوَّة مسدسه نحو ذلك الذى يَغْدُو ناحيته ،
و

وفجأة ، أطاحت طلقة أشعة بمسدسه الليزرى ..

ووجد نفسه أعزل ..

واندفع الرجال التسعة نحوه ..

واستدار (نور) ، وانطلق يَغْدُو بدؤره ..
وفجأة ، أمسك به أحد الرجال ، ولحق به ثان ،
وثالث ..

وراحت قبضتا (نور) تلكمان الرجال يَمْنَةً وَيَسْرَةً ،
وراحت قدماه تركلاهم في عنف ، وهم يقيّدون حركته في
عُنف ، حتى شعر بإبرة تنغرس في ذراعه ..
إنهم سيخدرونه ..

بالتأكيد سيفعلون ..
وراح يقاوم في عُنف ، ولكنهم كانوا يقيّدون حركته تمامًا ،
حتى انتزعوا الإبرة من ذراعه ..
وانتظر أن يحيط به الدّوار ..
وأن يَفْقِدَ وَغْيَه ..

ولكن هذا لم يحدث ..
فقط ظلّ يشعر بالصّداع والطنين ..
وتراخت الأيدي المسككة به ، وكأنما انتهت مهمتها ،
فدفعها بعيدا عنه ، صارخا :
— كفى .

ولكن صرخته جعلتهم يعودون للتشبّث به في قوّة ،
ويجذبونه نحو طوّافة تُقْبَعُ على مقربة من المكان ..

كان من الواضح أنهم لن يتخلّوا عنه أبدا ..
وأدهشهم أنه قد استسلم لهم فجأة ، وسار معهم طواعية ،
وكانما أدرك عُقْمَ المحاولة ..

ولكن الأمر كله كان مجرد خدعة ..
خدعة تعلّمها (نور) من رفيقه (رمزي) ..
لقد كان يعلم أن إصرارهم على إلقاء القبض عليه يجعل
أعصابهم متوتّرة ، مشدودة ؛ لذا فقد تظاهر بالاستسلام
لمصيره ، حتى يرخي أعصابهم كلها دفعة واحدة ، و.....
ويَهْجُم ..

ولقد فعل ..
لم يكد الرجال يسترخون ، حتى انفجر هو كقنبلة موقوتة ،
فانقضّت قبضته على أقربهم إليه ، وكالت له لكمة كالقنبلة ،
هشمت زجاج خوذته ، وفكّه ، وأسنانه ، وانطلقت القبضة
الأخرى في معدة رجل ثان ، وقفزت قدمه بين ساق ثالث ، ثم
اندفع (نور) نحو الطوّافة ، وبقفزة رشيقة أصبح داخلها ،
وصاح وهو يدفع قائدها بقدمه خارجا .

— اذهب .. إنها لي الآن .
كان عليه أن يترجم في سرعة ، كل ما يذكره عن آليات

الطوافات ، إلى تلك الصُورة السليّة المعكوسة ، التي يراها
أمامه ..

ولقد حاول ، وأدار محرّك الطّوافة بسرعة قياسية ،
وارتفع بها ، قبل أن يبلغه الجنود ..

وارتفعت الطّوافة على نحو غير منتظم ، ومالت على نحو
بالغ الخطورة ، و (نور) يحاول السيطرة على أجهزتها في
صعوبة ..

وفجأة ، وجد نفسه في مواجهة جبل ضخّم ..

جبل بدا وكأنما قد ظهر أمامه بعتة ..

أو كأنما هو قد ميّزه فجأة ..

وجذب ذراع الطّوافة ، بكل ما يملك من قوّة ، ولكنها ،
وعلى الرغم من ارتفاعها ، ظلت تتجه نحو قمة الجبل ..
نحوها مباشرة ..

لم يكن من السهل أن تعتاد عينا (نور) تلك المشاهد
السليّة ..

ولم يكن من الممكن له أن يتعامل معها بنفس بساطة تعامله
مع عالمه ..

وكان عليه أن يعتمد كثيراً على حظه ، وعلى مصيره المدوّن
في لوح القدر ..

وفي ذلك اللوح ، لم يكن أجله قد حان بعد ..
لقد تجاوزت الطّوافة حافة الجبل ، ولم ترتطم بها ..

تجاوزتها برّبع المتر لا أكثر ..

ولكنها فقدت توازنها ..

وعلى الرغم من مهارته ، مالت الطّوافة على نحو مخيف ،
وارتطمت مروحتها بخافة صخرية ، و

سقط فوق الجبل ..

وفي صعوبة بالغة ، استخلص (نور) جسده من حطام
الطائرة ، وشعر بالامتنان لصانعي زيّ الفضاء هذا ، المقاوم
للصدّات والخدوش ..

وألقى (نور) جسده على قمة الجبل ، يلهث ، ويتأوّه ..

لم يكن يدري متى ينتهى هذا العذاب ..

متى ؟ ..

وفجأة ، وجد الجنود التسعة يحيطون به ..

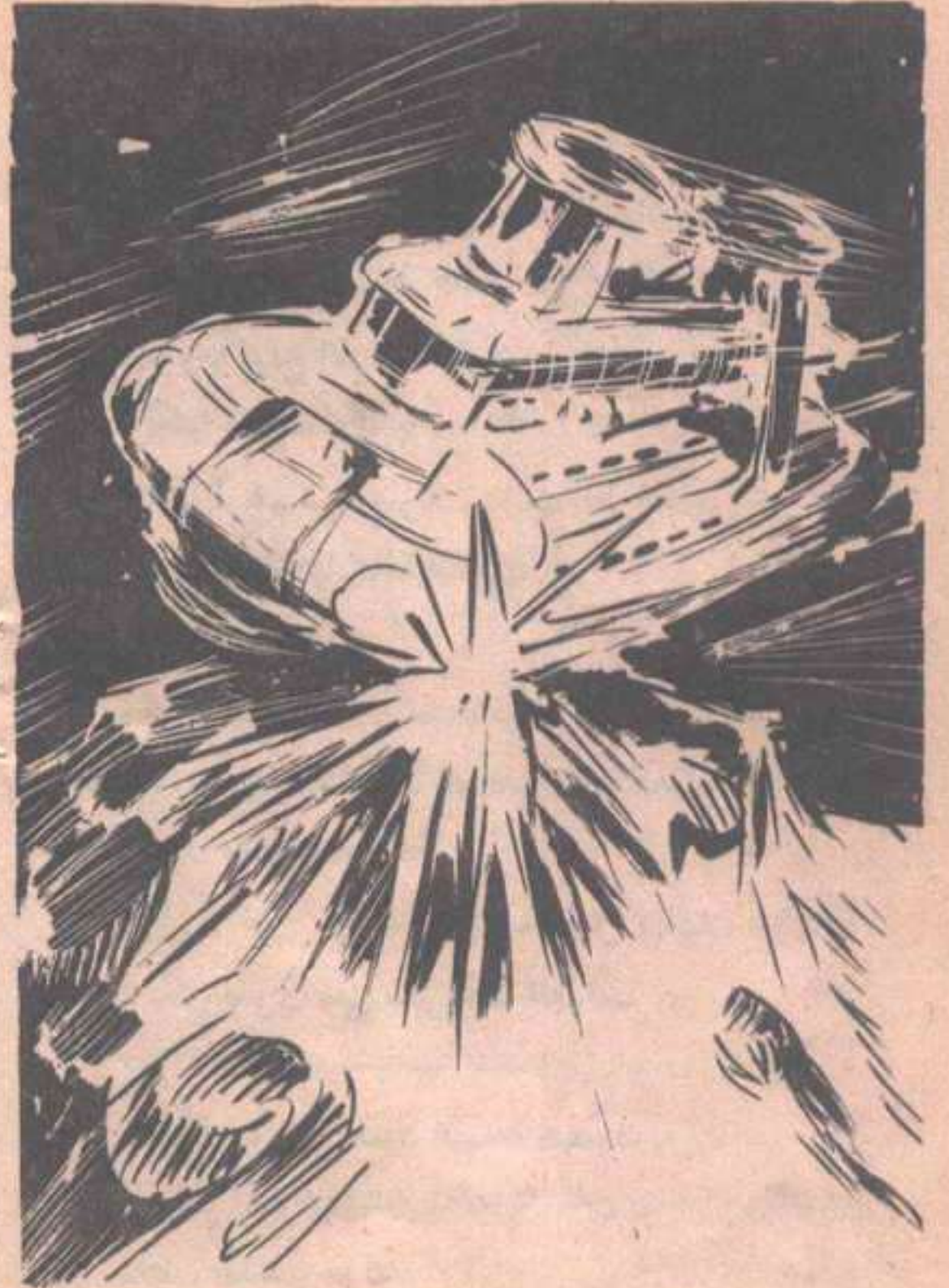
لم يشعر باقترابهم ..

فقط وجدهم حوله ..

إنه لم يسمعهم ..
لم يعد يسمع شيئاً ..
وفي هذه المرة ، لم يكن بقدرة (نور) أن يقاوم ..
أو يقاتل ..
أو يدافع ..
وفي هذه المرة استسلم ..
استسلم حقاً .

تحركت (سلوى) في عصبية ، داخل تلك الحجرة ، التي
خصّصتها إدارة المخابرات العلمية للفريق ، وقالت في توثر :
— طبقاً لما لدينا من معلومات ، أعتقد أن (نور) في خطر
بالغ .

أجابها (رمزي) في لحفوت :
— ولكننا لم نفقد الأمل في إنقاذه بعد .
هتفت في مرارة :
— وهذا الأمل يتضاءل في كل لحظة تمرُّ .
اقرب منها (رمزي) ، وربّت على كفها ، مغمغماً في
إشفاق :



وعلى الرغم من مهارته ، مالت الطوافة على نحو
مخيف ، وارتطمت مروحتها بحافة صخرية ..

— لا تسمحى للحزن بهزيمتك يا (سلوى) .. كان من الممكن أن يحدث ما هو أسوأ .

صاحت باكية :

— وما الأسوأ من ذلك ؟

أجابها في صوت مرتجف :

— أن يلقى (نور) حتفه .

سالت دموعها في غزارة ، وهى تقول :

— ومن قال إنه لن يفعل ؟

اعتدل (ممدوح) ، قائلاً :

— واجبنا هو أن نحول دون ذلك .

هتفت فى يأس :

— كيف ؟

أجابها صوت حازم :

— لقد وضعنا يدينا على أول الخيط يا بنيتى .

التفتت إلى مصدر الصوت ، وغمغمت فى لهفة :

— كيف يا دكتور (عبد الله) ؟ .. كيف ؟

التقط أنفاسه بصوت مسموع ، وقال :

— لقد نجحت بعثتنا الجديدة ، فى الحصول على عينة من

مادة السحابة الغامضة ، وهذا يُعد انتصاراً كاملاً .

هتفت فى حنق :

— وماذا عن (نور) ؟

عقد حاجبيه ، وهو يحيب :

— إننا لن ننجح فى انتزاع (نور) من ذلك العالم ، إلا

عندما ننجح فى تحليل تلك المادة ، ومعرفة مكوناتها ، وإلا فإننا

لن نفلح فى اختراق ذلك العالم أبداً ..

بكت فى حرارة ، وهى تغمغم :

— كل ما يهمنى الآن هو (نور) .. (نور) فقط .

تنهد الدكتور (عبد الله) ، وقال :

— اطمئنى يا بنيتى .. إننا لم نفقده بعد .

ثم أزدف بعد هنيهة من الصمت :

— إنه ما يزال بين أيدينا .. تماماً ..



٦ - الأسير ..

استسلم (نور) تمامًا لهؤلاء الجنود ، الذين يرتدون زيًا عجيبًا ، وجلس بينهم في تلك السيارة الكبيرة ، التي تنطلق بسرعة صاروخية ، عبر مناطق صخرية جبلية ، لتنتقل إلى منطقة صحراوية ، أجبرتها على خفض سرعتها على نحو ما .. وتابعت عينا (نور) تلك المشاهد السلبية ، المعكوسة ، الخالية من الألوان تمامًا ، وتساءل : هل سيهر عالمه سكان ذلك العالم ، إذا ما نجحوا في الانتقال إليه ؟ .. جذبه السؤال إلى عدة أسئلة أخرى .. هل يعلمون بوجود ما يسمى بالألوان ؟ .. أديهم منظار طيفي ؟ ..

كيف تقدمت علومهم الضوئية ، من غير الألوان ؟ .. شعر أن الإجابة الوحيدة تكمن في أن عيونهم قوية ، وأبصارهم حادة للغاية ، مما يجعلهم قادرين على التمييز ، بين درجات الأبيض والرمادي والأسود ، بحيث يحل ذلك محل الألوان في عالمهم .

ولكن ماذا عن الفنون ؟ ..

إنهم نسخة سلبية من الأرض ، وهذا يعني أن تاريخهم حافل بعشرات العباقرة ، في عالم الفن ، مثل (ليوناردو دافنشي) ، و (مايكل أنجلو) ، و (بابلو بيكاسو) ، و (سلفادور دالي) ، و (أدوم واني) و (جمال قطب) ، وعشرات غيرهم ، فهل وضع كل هؤلاء لوحاتهم باللونين : الأبيض والأسود فقط ؟ .. شيء ما بدا له غريبًا ..

شيء ما أثار عقله وفضوله .. كانت هناك نقطة ، أو عدة نقاط ، تبدو له غير متناسقة ، أو غير طبيعية ، ولكنه لم يدرك ما هي .. كان عقله حائرًا ، مشتتًا ، ما بين صُدا عفيف ، وطنين زهيب ..

كما أن كل ما حوله كان يُربكه ..

تلك المشاهد ..

المنظر ..

كل ذلك العالم الخالي من الألوان ..

ذلك العالم السلبي المعكوس ..

وفجأة ، وقع بصره على مشهد مألوف ..

إنها قاعدة الفضاء ..

صورة سلبية معكوسة لقاعدة الفضاء المصرية ..

إن هذا الكوكب حقاً صورة سلبية للأرض ..

صورة طبق الأصل .. ولكنها معكوسة ..

أوقف الطبيب الشرعى ، الدكتور (محمد حجازى) سيارته
الصاروخية ، أمام إدارة البحث العلمى ، التابعة للمخابرات
العلمية ، وقفز منها ، واتجه نحو باب الإدارة فى سرعة ، لولا أن
استوقفه رجل الأمن ، وهو يقول فى خشونة :

— تحقيق الشخصية من فضلك .

هتف الدكتور (حجازى) فى استنكار :

— (طارق) .. ألا تعرفنى ؟

أجابه رجل الأمن فى صرامة :

— تحقيق الشخصية ياسيدى .

تنهّد الدكتور (حجازى) فى استسلام ، وأخرج من جيبه
بطاقة معدنية رقيقة ، ناولها لرجل الأمن ، مغمماً :

— لا بأس .. لن أقاوم .

تناول رجل الأمن البطاقة ، ودسّها داخل تجويف ربيع ،

فى جانب جهاز كمبيوتر خاص ، فظهرت على الشاشة صورة
الدكتور (حجازى) ، مع قائمة بكل المعلومات المدوّنة عنه ،
فقال رجل الأمن فى هدوء :

— كفك ياسيدى .

وضع الدكتور (حجازى) كفّه على شاشة الكمبيوتر ،
وهو يفهم فى استسلام كامل :

— إننى أقدر ما تفعلون يا فتى ، وأحترمه حقاً ، على الرغم من
أنه يثير مللى وضجّرى ، ويدفعنى إلى تحاشي القدوم إلى هنا
بقدر الإمكان ، فلقد تطوّرت جراحات التجميل على نحو
مذهل ، بحيث بات من السهل تحويل أى شخص إلى أى
شخص آخر ، وإخفاء آثار خياطة الجلد بأشعة الليزر ، و
قاطعته رجل الأمن ، وهو يلتقط البطاقة من الجهاز ،
ويناولها له ، مغمماً :

— يمكنك الدخول يا دكتور (حجازى) ، معذرة لطول
الإجراءات ، ولكنها تعليمات الإدارة .

حدّجه الدكتور (حجازى) بنظرة دهشة طويلة ، وهو
يتساءل كيف قاطعه على هذا النحو ، الخالى من الذوق ، إلا
أنه اكتفى بعقد حاجبيه ، وهو يتناول بطاقته ، ويدسّها فى
جيبه ، مغمماً :

— لا بأس يا (طارق) ، مادامت هذه هي التعليمات .
ابتسم رجل الأمن لأول مرة ، وهو يقول :
— شكراً لتعاونك يا سيدي .
منحه الدكتور (حجازي) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :
— لا بأس يا (طارق) ، لا بأس .
ودلف غُبر بوابة المبنى وقبل أن يفلقها خلفه ، سمع الحارس
يتنحنح ، قائلاً :

— معذرة يا سيدي ، ولكن
التفت إليه الدكتور (حجازي) في حدة ، قائلاً :
— ولكن ماذا ؟

اتسعت ابتسامة رجل الأمن ، وهو يقول :
— ولكن اسمي ليس (طارق) ، ولا يوجد بين رجال
الأمن كلهم هنا ، من يدعى (طارق) .
وكانت ابتسامته تخفي خلفها ضحكة كبيرة ..
ضحكة ضخمة ساخرة ..

استقبل الدكتور (عبد الله) الدكتور (حجازي) في
حرارة ، فسأله هذا الأخير في توثر :
— ما آخر تطورات الموقف ؟ .. هل عثرتم على (نور) ؟

غمغم الدكتور (عبد الله) :
— تقريباً .
ثم أزدف في صوت قوي :
— ونحن نحتاج إليك في شدة .
هتف الدكتور (حجازي) في حماس وانفعال :
— أنا مستعد لعمل أي شيء ، من أجل (نور) .
تنهّد الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :
— إنك تفعل هذا من أجل الأرض كلها يا دكتور
(حجازي) .
أجابه الدكتور (حجازي) في صرامة وعناد :
— ومن أجل (نور) أولاً .
زفر الدكتور (عبد الله) ، وقال :
— لا بأس .. المهم أن تنجح .
ثم التقط من درج مكتبه أنبوبة اختبار ، تحوى مادة فضية
خثينة ، وهو يستطرد :
— لقد استخلصنا هذه المادة ، وكما ترى ، فكل ما لدينا
منها هو عُشر جرام فحسب ، وبواسطته ، ينبغي أن تبذل أقصى
جهدك ، لمعرفة نوع تلك المادة ، وابتكار مصل مضاد لها .

ودَوَّت رنة توثر في صوته ، وهو يُزِدِف :

— وعلى نتائج عملك سيتوقف مصير (نور) ، ومصير
كوكب الأرض بأسره .

توقفت السيارة التي تقل (نور) ، أمام مدخل القاعدة
الفضائية المصرية ، وتم فحص جميع ركابها ، بما فيهم هو ،
بجهاز كشف الأشعة الخاص ، قبل أن يُسمح للسيارة
بالدخول إلى القاعدة ، وفي داخلها اتجهت به السيارة إلى عنبر
العزل الخاص ، حيث تم إنزاله ، وإيداعه حجرة واسعة
خالية ، راح يدير بصره في جوانبها ، وقد تضاعف صُداعه ،
وذلك الطنين ، الذي يدوى في أعماقه ، وبدأت الرؤية
مشوشة نوعاً ما ، كما لحى إليه أن نبضات قلبه ترتفع على نحو
ملحوظ ..

وفجأة ، رأى باب الحجرة يُفتح ، ورأى رجلين يدلفان
إليه ..

كانا يرتديان نفس الزي العجيب ، فغمغم (نور) :

— من أنتم ؟ وماذا تريدان ؟

لم يسمع حتى صوته ، وتذكر مرة أخرى أنه مصاب

بالصمم ، ولعن موقفه المعقد ، وهو يحاول رؤية ملامح
الرجلين ، من خلف زجاج خوذتيهما ، وهو يتساءل عما إذا
كانا قد أجاباه أم لا ، وعما إذا كان سيفهم لغتهم أم أنها ستكون
لغة خاصة ، أو معكوسة ..

واقترب منه أحد الرجلين ..

ومن خلف زجاج الخوذة ، رآه (نور) ..

كان وجهه سلبياً معكوساً ، بلا ألوان ، ولكن المهم هو أنه
كان يتحدث ..

كان يهتف بعبارات ما ..

بكلمات لم يفهمها (نور) ..

وقال (نور) في توثر :

— لست أسمعك .. لقد أصابني الصمم ، عندما هبطت
في سفيتي الفضائية على كوكبك .. هل تفهم لغتي ؟ .. لست
أسمعك .

رأى الرجل يتراجع في دهشة ، ثم يلتفت إلى زميله
طويلاً ..

كان من الواضح أنهما يتناقشان ، ولكنه لم يسمعهما ..
ولقد تساءل عما أدهش الرجل ..

٧ - المقاتل العنيد ..

صافح الدكتور (حجازي) (رمزي) في اهتمام، وأشار إلى تلك المادّة الفضيّة، قائلاً :

هل رأيته ؟

أوماً (رمزي) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. هل يمكنك التوصل إلى طبيعتها يا سيدي ؟

هزّ الدكتور (حجازي) كتفيه ، وقال :

— سأحاول .

ثم عاد يشير إلى المادّة ، مستطردّاً :

— المشكلة هي أننا لا نملك سوى كمّيّة ضئيلة للغاية .

مطّ (رمزي) شفّته ، وقال :

— يمكننا أن تكفي ، بقليل من الحرّص .

أجاب الدكتور (حجازي) :

— بل بالكثير منه يا ولدي ..

ثم التقط أنبوبة الاختبار ، مستطردّاً :

أهو صوته ؟ ..

أهو أسلوبه ؟ ..

أم لغته ؟ ..

وفجأة ، تعلّق بصر (نور) بشيء آخر ..

بمسدّس ليزريّ ، تعلّق في حزام الرجل الآخر ..

وفجأة ، ارتسمت الخطّة كلها في رأس (نور) ..

خطّة فرار كاملة متكاملة ..

إنه الآن داخل قاعدة فضاء ، ويمكنه أن يحصل على مسدّس

ليزريّ ..

إنها وسيلة للفرار ..

وسيلة للعودة إلى عالمه ..



— هيا .. سنستخدم ذرة واحدة منها .. وسنبدا باختبار
تفاعلاتها مع المواد المختلفة .. وبسرعة .
وتنهّد في عمق ، قبل أن يُردف :
— إننا أمل (نور) الوحيد .

وقف (نور) صامتًا ، يراقب الرجلين ، اللذين انهماكا في
نقاش طويل ، بدا واضحا في توأمرهما ، وتلويحهما بكفّيهما ،
وتركّزت عيناه على المسدّس الليزري ، المثبت في حزام أحدهما
حجمًا ، فقال فجأة :

— معذرة أيها السيّدان .. لديّ وسيلة للتفاهم .
التفتا إليه في دهشة واضحة ، وكأنّما لم يكن أيهما يتوقّع منه
أن ينطق بأيّ شيء ، فاستطرد وهو يقترب منهما في خذر :
— إنني لا أسمعكما ، ومن المحتمل ألا تفهما لفتى ، أو أفهم
لفتكما ؛ لذا فمن الممكن أن نستخدم أسلوب الإشارة .
قال هذا ، وراح يلوّح بكفّيه ، وهو يزداد اقترابًا منهما ،
مُردِّفًا :

— إن كوكبكما يشبه كوكبي ، وهذا يعني أن لغة الإشارة
مستخدمة هنا أيضًا ، و.....

وفجأة ، انتزع المسدّس الليزري من حزام الرجل ، وقفز
إلى الخلف ، صارخًا في صرامة :

— حركة واحدة مُريّة ، وأطلق مسدّسي على الفور .
كان أكثر ما يضايقه هو أنه لا يسمع صوت نفسه ،
ولا يدرى مدى صرامته أو جدّته ..
ولكن أثر صوته كان واضحًا ..

لقد تراجع الرجلان في حركة حادّة ، وارتجفا في شدّة ،
وأخذ أحدهما يلوّح بكفّيه ، كما لو كان يريد أن يقول شيئًا ،
فهتف به (نور) في صرامة :

— كفّى .. لست أسمعك ، ولست أرغب في أن أفعل ..
افتح الباب ، ومُر الحُرّاس بعدم اعتراض طريقي ، وإلا ثقت
بجمعتك بأشعة مسدّسي هذا .

تبادل الرجلان نظرات قلقة ، ثم أوما أحدهما برأسه
إيجابًا ، فاتجه الآخر إلى الباب ، وفتحه ، ثم أشار إلى (نور)
بالخروج ، فهتف (نور) في حزم :

— سنخرج معًا .

تبادلا نظرة أخرى ، ثم سارا أمامه ، وكان من الواضح أن
أحدهما يأمر الحُرّاس بعدم التعرّض له ، إذ راحوا يخفضون

أسلحتهم ، و (نور) يسير خلف الرجلين ، ويصوب إليهما
مسدسه الليزرى ، غير ممر طويل ، قادهما إلى ساحة الإطلاق ،
حيث استقر مكوك فضائى وسطها ، فقال (نور) فى صرامة :
— هيا .. سنستقل معاً مكوك الفضاء هذا .

وبدت نبرة أمل فى صوته ، وهو يستطرد :
— وسنعود به إلى كوكبى .

توقف الرجلان فجأة ، والتفت أحدهما إلى الآخر بحركة
حادة ، ثم استدارا إليه ، وأخذ أحدهما يصيح بعبارات ما ،
فصرخ (نور) :

— إذن فأنتم تفهمان لغتى .. هذا عظيم .. مستطيعان
أوامرى إذن .. أو

فجأة ، نبهته غريزته إلى شيء ما ..

أو ربّما هى ليست غريزته ..

ربّما كان ذلك الظل ، الذى سقط طرفه أمامه ..

لقد انتبه إلى أن أحدهم يهاجمه من الخلف ..

وكان عليه أن يصد الهجوم ..

وأن يصدّه فى غنّف ..



لقد تراجع الرجلان فى حركة حادة ، وارتجفا فى شدة ، وأخذ أحدهما
يلوح بكفيه ، كما لو كان يريد أن يقول شيئاً ..

فرك الدكتور (حجازى) عينيه فى إرهاب ، وهو يغمغم :
 — من سوء الحظ أننى قضيت ليلتى السابقة كلها فى عمل
 مُتَّصِل ، بعد تلك الكارثة ، التى أصابت قطار (أسوان)
 الصاروخى ، و.....
 بتر عبارته ، وكأنما لم يجد داعياً لشرح الأمر كله لـ (رمزى) ،
 وسأله فى اهتمام :

— ما نتائجنا النهائية ، بالنسبة لتفاعلات تلك المادة ؟
 أجابه (رمزى) فى توثر :

— إنها سلبية التفاعل مع الأحماض ، وكذلك مع القلويات .
 مطّ الدكتور (حجازى) شفّيه ، وقال :

— هذا يَفْهَى أنها مادة متعادلة .
 صمت لحظة مفكراً ، وأردف :

— لا بأس .. هذا أفضل .

ثم استطرد فى اهتمام :

— وماذا عن اختبارات الهواء ؟

أجابه (رمزى) :

— إنه عديم التأثير عليها ، فهى تحتفظ بنفس لونها ، فى وجود
 الأكسوجين وفى غيابها ، وحتى فى تركيزاته المختلفة .

تنهّد الدكتور (حجازى) ، وقال :

— حسناً .. هذا يَفْهَى أن اختباراتنا ما زالت تسير فى طريق
 مسدود ، حتى هذه النقطة .. لا بأس .. سنجرى اختباراتنا
 الكهربية الآن .. سنرى ما إذا كانت تلك المادّة السخيفة
 تستجيب للتيار الكهربى ، أو التّأين ، أو.....

قاطعت شهقة قويّة ، انطلقت من بين شفّتى (رمزى) ،
 فهتف فى توثر :

— ماذا حدث ؟

لم يسمع جواباً من (رمزى) ، فالتفت إليه ، وهو يعقد
 حاجبيه فى توثر ، فرآه يحدّق فى أنبوبة الاختبار ، التى تحوى
 المادّة الفضيّة ، فى مزيج من الدهشة والاستكار ، فكرّر سؤاله
 فى عصيّة :

— ماذا حدث يا (رمزى) ؟

أشار (رمزى) إلى أنبوبة الاختبار ، وهو يقول فى توثر :

— تلك المادّة اللعينة .

هتف به الدكتور (حجازى) ، وهو يسرع إليه :

— ماذا أصابها بالله عليك ؟

أجابه (رمزى) فى ارتباك :

— لقد تزايدت كميتها .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) عن آخرهما ، وهو يتف :

— ماذا ؟!

ثم التقط الأنبوبة ، ورفعها إلى عينيه فى دهشة ..

كانت كمية المادة قد تزايدت بالفعل ..

تزايدت على نحو ملحوظ ، جعل الدكتور (حجازى)

يغمغم فى قلق :

— عجباً !!

وصمت طويلاً ، وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، وهو

يتطلع إلى تلك المادة ، قبل أن يقول فى حزم :

— أظننا سنفحص تلك المادة بالميكروسكوب الأيونى على

الفور .

سأله (رمزى) فى اضطراب :

— ما الذى تتوقع أن نجده ياسيدى ؟

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، وظل صامتاً لحظة ، قبل

أن يجيب فى صوت بالغ العمق :

— مفاجأة !! مفاجأة مذهلة !!

كان لرد الفعل التلقائى السريع ، الذى نمته تدريجات
التجارب العلمية فى نفس (نور) ، الفضل الأول فى إنقاذه
هذه المرأة ..

لقد لمح ذلك الظل ، وهو يهوى على رأسه بشيء ما ، فقفز
جانباً ، ومال بسرعة ، ورأى مقبض مسدس ليزرى يهوى إلى
جواره ، فى قبضة أحد الجنود ، فتحرك بسرعة ، وهوى على
مؤخرة عنق ذلك الجندى بقبضة مسدسه هو ، فأسقطه فاقد
الوعي ، واستدار يواجه الآخرين ..

كانوا يهاجمونه فى شراسة هذه المرأة ..

وكان من الواضح أنهم لن يسمحوا له بالوصول إلى المكوك
الفضائى ..

إنهم يمنعون من مغادرة كوكبهم ، بإصرار عنيف ..

وانطلقت قبضة (نور) تحطم فك أحدهم ، وأنف آخر ،
غبر زجاج خوذتهما ..

ثم راح يطلق أشعة مسدسه الليزرى ..

وفى هذه المرأة غلبته غريزته ، وكراهيته للدمار والعنف ،
فأطلق أشعة المسدس على الأيدي والسيقان فحسب ، دون
أن يصيب من خصومه مقتلًا ..



ثم اندفع فجأة نحو مكوك الفضاء ..
وفي هذه المرة لاحقته خيوط الأشعة ..

ولقد أدهشه كثيراً أنهم لم يحاولوا إطلاق أشعتهم عليه ..
ثم بدا له هذا طبيعياً ..

إنهم لن يخاطروا بقتله ..

لن يهتموا بمسئولية قتل حيوان التجارب الأول في كوكبهم ..

وربما كان هو الوسيلة الوحيدة لدراسة أهل الأرض ، قبل

الغزو ..

ربما ..

لهذا لا ينبغي أن يسمح لهم بإلقاء القبض عليه حياً أبداً ..

لا ينبغي أن يمنحهم سلاحاً ضد عالمه ..

وتراجع في سرعة ، وهو يطلق أشعة مسدسه ينفث ويستره ،

صالحاً في حزم :

— لن تنالوا مني ومن كوكبي أبداً .. أبداً ..

ثم اندفع فجأة نحو مكوك الفضاء ..

وفي هذه المرة لاحقته خيوط الأشعة ..

كان من الواضح أنهم لا يسنقون لقتله ، وإنما لإصابته ..

كانوا يسنقون لمنعهم من الوصول إلى المكوك ..

وبأي ثمن ..

وكان عليه هو أن يصل إليه ..

وبأى ثمن أيضا ..

لقد كشف طبيعة ذلك العالم الآخر ..

لقد سبر غوره ..

ولعله البشرى الوحيد ، الذى فعل ذلك ..

ولابد أن يعلم علماء عالمه ما توصل إليه ..

ربما كان هذا هو أملهم الوحيد فى صد الغزو ..

ربما ..

لقد اقرب من المكوك ..

اقرب فى شدة ..

وبقفزة ماهرة ، أصبح أمام باب ..

وراح يصعد سلمه فى قفزات قوية ، ثم يدلف داخله ..

وفجأة ، وجد أمامه أحدهم ..

أحد سكان ذلك الكوكب السلبى ..

وجده أمامه بلا ألوان ، سلبيا ، معكوسا ، يصوب إليه

مسدسه الليزرى ..

ورأى أشعة الليزر تنطلق من مسدس الرجل ..

تنطلق نحوه تماما ..

٨- الكائن الغامض ..

أطل اهتمام جارف ، من عيون (رمزى) والدكتور
(حجازى) ، وهما يتابعان تلك الصورة ، التى تنقلها إليهما
شاشة الميكروسكوب الأيونى ..

كانا قد وضعا ذرة واحدة من تلك المادة الفضية ، وراحا
يتابعان تفاصيلها فى شغف العلماء ، وقلق صديقين ، ارتبطت
حياة صديقيهما بنتائج أبحاثهما ودقتها ..

ولقد نقلت الشاشة صورة لغلاف أشبه بشبكة ضخمة من
الصُّلب ، تحيط بنواة أشبه بجُلمود من الفضة ..

وغمغم الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

— إننى لم أشاهد مثل هذا الشيء من قبل .. انظر إلى ذلك
الغلاف الشبكى ، الذى يحيط بذرة تلك المادة .. إنه متناسق
تماما ، كما لو كان من إنتاج أعظم مصانع الشبكات الواقية فى
الكون ..

غمغم (رمزى) فى انبهار :

— بالتأكيد يا سيدي ، فقد أنتجه الخالق (عز وجل) .

تمم الدكتور (حجازي) في خشوع :

— حتمًا .

ثم راح يتابع الصورة على الشاشة ، مستطرذا في اهتمام :
— وهذه الشبكة تامة التكوين ، وتحيط بذرة الفضة

إحاطة تامة ، حتى أنه من العسير أن

بتر عبارته بفتة ، وراح بفرك عينيه ، مغمغما :

— يا إلهي !! يبدو أنني أحتاج حقًا إلى لسط من
الراحة ، لقد بدأت أفقد حُسن الرؤية .. إن الصورة تبدو
أمامي مُهتزة .

أدهشه أن أجابه (رمزي) بصوت شديد الانفعال :

— أنت في خير حال يا سيدي ، فالصورة تهتز حقًا .

فتح عينيه على اتساعهما ، وهو يحدق في الصرورة ، وقد
بدا وكأن الشبكة المنتظمة تهتز في قوة ، وتفصل عنها شبكة
أخرى ، وذرة فضية مماثلة ، على حين استطرد (رمزي) في
صوت مرتجف ، من شدة اللهفة ، وقوة الانفعال :

— رباه !! إن هذا الشيء اللعين ينقسم .

أجابه الدكتور (حجازي) ، في صوت مُفعم بالانفعالات :

— نعم يا (رمزي) .. إنه ينقسم في بطاء ، وبنفس الوسيلة
المتبعة في عالم الكائنات الدقيقة .. إنه انقسام ثنائي بسيط (*) .

واجتاحه الانفعال ، وهو يُردف :

— ألا تعلم ما الذي يغييه ذلك يا (رمزي) ؟ إنه يعني
أننا لسنا أمام مادة خاملة .. إن هذا المسحوق الفضي اللعين
هو مادة عضوية .. مادة عضوية حية ..

تحرك (نور) في سرعة ، عندما انطلقت أشعة الليزر
حوله ، شعر بها تحرق زِيَه الخاص ، ولحم ذراعه اليسرى ،
وتنفذ من الناحية الأخرى ، وشعر بآلام رهيبة تصاحب
ذلك ، فتحركت قبضته في غضب ، وهوت على معدة الرجل
في عنف ، ثم ارتفعت لتستقبل خوذته ، حينما انشى بتأثير
اللكمة في معدته ، فهشمتها ، وغبرتها إلى فكّه كالقبلة ..

(*) انقسام ثنائي بسيط : هو عملية تحدث في الخلايا الجسمية
للكائنات الحيوانية والنباتية ، والميكروبات ، وفيها تغلظ المادة
الكروماتينية ، وتكون الصبغيات (الكروموسومات) ، التي تنشق
طوليًا ، وتختفي النوويّة ، والنشاء النووي ، وتتكوّن مجموعتان من
(الكروماتيدات) ، تتجه كل منها إلى قطب من قطبي الخلية ، ويتكوّن
غلاف نوويّ حول كل مجموعة ، وينقسم (السيتوبلازم) إلى قسمين ،
وتتكوّن خليتان متماثلتان : (مختصر) .

وفي حركة حادة ، جذب (نور) الرجل الفاقد الوغي
إليه ، ودفعه خارج المكوك ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، ثم
اندفع نحو كابينة قيادة المكوك ..

لم يكن نظره قد تألف بعد مع تلك المشاهد السليّة
المعكوسة ، كما أن صداعه كان قد تصاعد عشرات المرات ،
وتحوّل طنين أذنيه إلى هدير رهيب ، يكاد يُذيب مخّه
لشدته ..

وبالم ، راح (نور) يضغط أزرار القيادة ، تمهيدا
للانطلاق بالمكوك والقودة به إلى كوكبه ، وهو يعلم أنها لن
تكون بالمهمة السهلة أو الهينة ، خاصة وأنه لا يعلم ما إذا كان
المكوك يحوى وقودا كافيا للرحلة ، وما إذا كان سكان ذلك
العالم الآخر سيسمحون بالإقلاع ، أو سينسفونه نسفا ..
والأهم أنه لم يكن يدري ، أيمكنه أن يقود المكوك ، وهو
يُعاني كل هذه الآلام أم لا ..

وكم أفرعه أن الرؤيا أمامه قد باتت مشوهة ، وأنه قد أصبح
عاجزا عن متابعة تعليمات الإطلاق ، التي ترسم على شاشة
الكمبيوتر ، باللونين المتقاربين ، من درجات الرمادى ..
وكان على يقين من أن محاولته هذه تبدو أشبه بالانتحار .

ولكنه لم يتراجع ..

راح يُعدّ المكوك للإقلاع في عزم ، وهمة ، وإن أخذ
مصباح عنيد يضئ في رأسه بضوء الخطر ، وراحت عبارة
تهتف في عقله في إصرار :

— هناك شيء غامض .. شيء غريب ..

وكان واثقا من أن تلك العبارة على حق ..

إنه يشعر بذلك منذ البداية ..

هناك شيء غامض في الأمر كله ..

شيء ينافي طبيعة الأشياء ..

شيء قد يغيب الكثير ..

الكثير جدا ..

ولكن ما هو ذلك الشيء ؟

ما هو ؟

بدأ رأسه يدور في شدة ..

وارتفع الطنين في أذنيه ..

إنه يحتاج إلى وقت للإقلاع ..

ولكنه سيقلع ..

سيقلع إلى عالمه ..

عالمه الحقيقي ..

الفتحم الدكتور (حجازى) حجرة الدكتور (عبد الله) ،
هاتفًا :

— لقد توصلنا إلى مفاجأة مذهلة .

هَبُّ الدكتور (عبد الله) من مقعده ، هاتفًا :

— إلى بها .. بسرعة .

هتف الدكتور (حجازى) ، وهو يلوح بكفيه فى انفعال :

— تلك المادَّة الفضيَّة .. لقد أدركنا ماهيَّتها .

وتقاطر الانفعال من كل حرف من حروف كلماته ، وهو

يستطرد :

— إنها مادَّة حيَّة .

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) ، وهو يهتف فى ذهول :

— مادَّة حيَّة ؟!

وسقط فوق مقعده ، والدكتور (حجازى) يستطرد فى

انفعال :

— نعم .. إنها ميكروب .. فيروس فى الفضاء الخارجى ..

أو من عالم آخر .. فيروس مجهول .

غمغم الدكتور (عبد الله) فى صوت مرتجف :

— ولكن هذا رهيب يا دكتور (حجازى) .. إن تلك

السحابة ستعبر غلافنا الجوى بعد أسبوعين على الأكثر ،
ولو أنها سحابة فيروسية ، فسيغنى هذا أن تتعرَّض الأرض
لوباء طاحن مخيف .

وازداد صوته ارتجافًا ، وهو يغمغم :

— وباء قد يَغْنى الفناء .. الفناء التام للجنس البشرى .

هتف الدكتور (حجازى) فى انفعال :

— اطمئن .. قد لا يكون الأمر بالخطورة التى تتصوَّرها .

غمغم الدكتور (عبد الله) فى ارتياح :

— كيف ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى حماس :

— هناك طبيعة جيِّدة مثيرة للجسم البشرى ، ألا وهى أنه

يملك جهازًا مناعيًا خاصًا ، مزوَّدًا بخلايا تسمى خلايا (ت) ،

وهذه الخلايا هى المسئولة عن تكوين الأجسام المضادَّة فى

الجسم ، ضدَّ أى جسم غريب يهاجمه ، بما فى ذلك الفيروسات

اختلفة ، وهذه الخلايا يعود الفضل فى المناعات الدائمة ، التى

تكتسبها أجسادنا ، بعد إصابتنا ببعض الأمراض الفيروسية

الخاصَّة ، كالحصبة ، والجُدُنيرى مثلاً ، وهى أيضًا التى

تساعدنا على الحصول على الأمصال اللازمة ، ضد تلك

الأمراض .

هتف الدكتور (عبد الله) :

— ماذا تعني :

أجابه الدكتور (حجازي) منفعلًا :

— أغني أنه يمكننا أن نحصل على مصل مضاد لتلك المادّة ،
يقينا من تأثيرها ، عند اختراقها غلافنا الجوى ، إذا ما حقناها
في جسد شخص ما ، وحصلنا بعدها من جسده على المصل .

هتف الدكتور (عبد الله) في توثر :

— ومن هو ذلك الشخص ، الذى يقبل المخاطرة بنفسه إلى
هذا الحد ؟

اعتدل الدكتور (حجازي) ، واكتسب صوته صرامة
خاصّة ، وهو يقول في حزم :
— أنا ..

شعر (نور) بدهشة حقيقية ، عندما مضت عشر دقائق
كاملة ، منذ أصبح داخل مكوك الفضاء ، دون أن تجرى أيّة
محاولة لاقترام المكوك ، أو منعه من الانطلاق ، على الرغم من
أن أجهزته تؤكد أنه يحوى الوقود اللازم ، وأنه يصلح لمغادرة
ذلك العالم ، إلى عالمه هو ..

ولكنه لم يهتم بذلك كثيرًا ..

إذا كان سكّان هذا العالم قد قرّروا تركه يرحل ، فهذا
شأنهم .. سيستغل الفرصة ويعود إلى عالمه ..

وفجأة ، برزت في رأسه فكرة أقلقته ..

من المحتمل أن هذا جزء من اختباره ..

من الممكن أن يكونوا قد تركوه يفعل ذلك ، ليختبروا
ردود أفعاله إزاء المواقف الصعبة ..

في هذه الحالة سينسفونه بعد أن يُقلع ، بواسطة مدافعهم
الليزرية ، المثبّثة في أقمارهم الصناعية ، حول كوكبهم ..
لا شك أن لديهم مثلها ..

لا ريب في أنهم يملكون كل ما يملكه كوكبه ..

ولكن بصورة سلبية معكوسة ..

ولكن هذا لن يدفعه للبقاء ..

سيرحل ..

سيرحل أيّا ما كان الثمن ..

إنه يفضل أن ينسفوه ، في أثناء محاولته الفرار من عالمهم ،
على أن يكرّموه ، كما يفعل أهل كوكبه مع حيواناتهم الأليفة ..
ومن يدري ؟.. قد ينجح في الفرار من أسلحتهم ..



وضغط زرّ الإطلاق .. وبدأ المكوك رحلته ..
بدأها نحو المجهول ..

من مدافعهم الليزرية ..
من اختباراتهم ..

ومرة أخرى ، حاول أن يقرأ تلك الكلمات ، المترصّة
على شاشة الكمبيوتر ، إلا أن تقارب لونها مع لون الشاشة ،
وضعف إبصاره ، الذي يتزايد مع مرور الوقت ، منعاه من
ذلك ، فغمغم في سخط :

— فليكن ما يكون .

وضغط زرّ الإطلاق ..

وبدأ المكوك رحلته ..

بدأها نحو المجهول ..



٩ — التجربة القاتلة ..

« إننى أرفض يا دكتور (حجازى) .. » ..

هتف الدكتور (عبد الله) بتلك العبارة فى جدّة وصرامة ،
فى وجه الدكتور (حجازى) الذى عقد حاجبيه ، وهو يقول
فى عصبية :

— ماذا يعنى رفضك هذا ؟ .. أنت تعلم أن العالم كله
معرض للخطر ، بل للفناء ، لو عَبَرَت تلك السحابة غلافه
الجوى ، قبل صنع المصل اللازم ، فكيف ترفض أن ؟

قاطعته الدكتور (عبد الله) فى صرامة :

— إننى أرفض أن تتطوّع أنت لذلك .

هتف فى غضب :

— لماذا ؟

صاح الدكتور (عبد الله) فى جدّة :

— لأنك ببساطة الشخص الوحيد ، القادر على متابعة

التجربة .

صمت الدكتور (حجازى) ، وعقد حاجبيه فى ضيق ،
على حين لَوَّح الدكتور (عبد الله) بذراعيه ، وهو يستطرد فى
عصبية .

— أتعلم لماذا نستعين بك ذُوْماً ؟ .. لأنك أعظم علماء
الطب الشرعى والسموم فى العالم ، وأنت الوحيد القادر على
ابتكار الأمصال اللازمة لأغرب الأمراض وأعجبها ، فى أقصر
الأوقات القياسية ، وهذا يتطلب منك ضرورة متابعة التجربة
خطوة خطوة .

غمغم الدكتور (حجازى) فى توثر :

— ولكن من الضرورى أن يكون هناك متطوّع ، لنحقن
الفيرس الفضائى فى دمانه .

هتف الدكتور (عبد الله) :

— سنجد متطوِّعاً بين رجالنا ، أو بين المحكوم عليهم
بالإعدام ، و

قاطعته الدكتور (حجازى) فى جدّة :

— لا يمكننى أن أطلب من أى مخلوق الخضوع لذلك ،
فلسنا ندرى ما إذا كُنَّا سنجد مصلاً أم لا .

هتف الدكتور (عبد الله) :

— سنجد متطوِّعاً بالتأكيد .

أجابه فجأة صوت حازم :

— إننى أوافقك فى هذا الشأن يا دكتور (عبد الله) .

التفت الاثنان إلى مصدر الصوت ، وعقد الدكتور

(حجازى) حاجبيه لى جدّة ، وهو يقول :

— إننى أصّر على رأىى يا (رمزى) .

ابتسم (رمزى) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— ولكنك لن تجبر أحدا على التطوُّع يا دكتور

(حجازى) ، فلديك متطوِّع جادّ .

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :

— ومن هو هذا الانتحارى ؟

ازدرد (رمزى) لقابه بصوت مسموع ، وهو يقول :

— أنا .

حدّق الدكتور (حجازى) فى وجهه بدهشة ، هاتفاً :

— أنت ؟

أجابه فى حزم :

— نعم .. أنا .

لم يكذ يلمح علامات الاستكثار ، فى وجه الدكتور

(حجازى) ، حتى أسرع يستطرد :

— إنها فرصة مثالية يا سيّدى ، فأنت خير من يمكنه دراسة

التجربة ، وأنا طيب فى الوقت ذاته ، وهذا يعنى أن أبلغك

بكل التطوّرات على نحو واضح ، وبعبارات ومصطلحات طيّبة

سليمة ، وبهذا تنخفض احتمالات الخطأ إلى ما يقرب من

الصفر .

هتف الدكتور (حجازى) فى جدّة :

— كلاً .. إننى أرفض .

بدت ابتسامة (رمزى) أشدّ شحوباً ، وهو يقول :

— لم يعد هناك مجال للرفض يا سيّدى .. لقد سبق السيف

العزل .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى قلع ، وهو يهتف :

— ماذا تعنى أيها التمس ؟

غمغم (رمزى) فى خفوت :

— لقد حققت نفسى بالفيروس منذ لحظات .. لقد بدأت

خطوات التجربة بالفعل ..

تضاعف توثر (نور) واضطرابه ، عندما انطلق به

المكوك ، يشق طريقه إلى الفضاء الخارجى ..

لقد كان يتوقع هجومًا ليزريًا في أية لحظة ..
وكم أدهشه أن هذا لم يحدث ..

لقد غيّر الغلاف الجوي للعالم الآخر في سلام ..
وانطلق به المكوك في الفضاء ..

واختلج قلبه في سعادة ، على الرغم من الدوار العنيف ،
الذي يحيط برأسه ، وراح يهتف :

— لقد نجحت .. لقد نجوت بمعجزة .. سأعود إلى
عالمى .. إلى كوكبى .

ضايقه أنه لم يسمع حتى هتافه ، على حين تضاعف طنين
أذنيه على نحو مؤلم ، فردّد في حزم :

— لا بأس .. لقد نجوت من الخطر الداهم ، وما هو إلا
يوم واحد ، أو بعض يوم ، وأعود إلى عالمى ، وهناك ..

بتر عبارته بغتة ، عندما تحيل إليه أنه سيفقد وعيه ، وعاد
يغمغم فى وهن :

— يبدو أننى أنزف الكثير من الدماء .. من الضرورى أن
أضمد جرح ذراعى أولاً .

مسح الدماء من ذراعه بكفه ، ثم رفع كفه إلى عينيه ..
وفجأة ، اتسعت عيناه فى ذهول ..

وتصلبت أطرافه ..

وفى صوت خافت راح يغمغم :

— هذا هو الشيء الغامض .. يا إلهى !! إنه أمر أوضح

مما ينبغي .. كيف لم أنتبه إليه منذ البداية ؟

رفع كفه الأخرى إلى عينيه ، وهو يستطرد فى مرارة :

— كل الألوان .. كل الألوان .

ثم أسرع يضغط أزرار القيادة ، هاتفاً فى انفعال :

— ينبغي أن أعود إلى عالمى .. ينبغي أن أعود إليه بأقصى

سرعة ممكنة .

راح الدكتور (حجازى) يراقب (رمزى) فى اهتمام ،
وهو يسأله فى قلق :

— ما الذى تشعر به ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

— ماذا تقول يا سيدي ؟

رفع الدكتور (حجازى) صوته ، وهو يهتف :

— ألا تسمعنى .

بدا صوت (رمزى) متوترًا ، وهو يقول :

— عجبًا !! ... صوتك يبدو لي خافتًا ، كأنما يأتي من بعيد ،
وهو يزداد خفوتًا في كل لحظة .

توثر الدكتور (حجازي) بدوره ، وهو يقول :
— إذن فذلك الفيروس اللعين شغوف بالأعصاب
المُحيّة .. لقد احتل الآن أعصاب السَّمع ، وراح يُضعفها
تدريجياً .

هتف (رمزي) :

— يا إلهي !! ... سيدي .. إنني لا أسمعك .. لست أسمعك
على الإطلاق .

حمل الدكتور (حجازي) طبقًا معدنيًا ، من أطباق المعمل ،
وهوى به أرضًا ، هاتفًا :

— هل تسمعه يا (رمزي) ؟

كان للطبق رنين رهيب ، تردّد صده في أرجاء المعمل
طويلاً ، إلّا أن (رمزي) غمغم في توثر :

— سيدي .. لست أسمع شيئًا قط ..

ثم اتسعت عيناه في ذُعر ، وهو يقول :

— الأضواء .

سأله الدكتور (حجازي) في اضطراب :

— ماذا عن الأضواء ؟

هتف (رمزي) :

— إنها تبدو عجيبة .. عجيبة للغاية .

ثم ارتسم هلع رهيب في عينيه ، وهو يهتف :

— يا إلهي !! ... (نور) ؟

صاح به الدكتور (حجازي) متوثرًا :

— ماذا عنه ؟ .. ماذا عن (نور) ؟

تشبّث به (رمزي) ، وهو يهتف :

— ينبغي أن ننقذه بأقصى سرعة يا سيدي .. ينبغي أن

نساعدّه ، وإلّا ضاع إلى الأبد .. ضاع في عالم آخر ..

توقفت أفكار (نور) تمامًا ، وهو يقود مكوك الفضاء ،

عائدًا إلى الأرض ..

ومن عينيه انحدرت دموع حزينة ..

لقد كان يعود إلى كوكبه ..

إلى أرضه ..

إلى عالمه ..

ولكنه كان حزينًا ..

حزينا في شدة ..

ولي بطاء ، ضغط زر الاتصال ، وقال :

— هنا الرائد (نور) ، من مكوك الفضاء .. لا داعي لتبادل النداءات أو الحوارات ، فلقد فقدت سمعي ، وأنا في طريقى إلى الأرض ..

صمت لحظات ، محاولا استرجاع كل ما مر به ، قبل أن يستطرد :

— كل شيء يسير على ما يرام ، سأحاول الهبوط على نحو آمن ..

لاحظ له قاعدة الفضاء الأرضية ، على شاشة جهاز المراقبة ، فتمتم مردفاً :

— أرجو اتخاذ الاستعدادات اللازمة للطوارئ ..

وازدرد لعابه على نحو مسموع ، متابعاً :

— فلست أدري ما إذا كنتم تتوقعون عودتى أم لا .
اقرب من القاعدة الفضائية في سرعة كبيرة ، وأطلق الصواريخ العكسية لتخفيف سرعته ، وهو يتمم :

— لقد كانت تجربة رهيبه ، ولكننى أظن أنها ستفيدكم كثيرا .. وهذا ما يجعلنى أشعر بالراحة .

سالت دمعة أخرى على وجنته ، وهو يتابع :

— لقد فقدت أنا الكثير ، ولكن الأرض لن تفقد شيئا بإذن الله .. وهذا عزائى الوحيد .

تركزت أفكاره كلها على الهبوط ، فوق منصة الإطلاق ، في منتصف قاعدة الفضاء المصرية ، وراح يعالج أجهزته في سرعة وتوتر ، إلا أن مهارته تجاوزت كل الأخطار ، ولم يلبث المكوك أن استقر ساكنا على قاعدته ، فألقى (نور) رأسه على صدره ، مغفماً :

— لقد عدت إلى الأرض .

ثم استطرد في صوت أقرب إلى البكاء :

— الأرض التى لن أغادرها أبدا ..



١٠ - العائد ..

اندفعت (سلوى) داخل معمل التجارب ، حيث يتابع الدكتور (حجازى) تجربته مع (رمزى) ، وهتفت فى سعادة جارفة :

— لقد عاد (نور) يا دكتور (حجازى) .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

— مرخى يا بُنْتِى .

ثم عاد وجهه يتجهّم ، مردفًا :

— ولكن هذا لا يغنى زوال الخطر عنه .

اضطربت لتجهّمه ، وهى تسأله :

— ماذا تغنى يا سيّدى ؟ .. لقد عاد بنفسه ، وهذا

يكفى .. أليس كذلك ؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— كلاً يا (سلوى) .. هذا لا يكفى على الإطلاق .

صاحت فى عصيّة :

— لماذا ؟

أجابها فى هدوء :

— لأنه يحمل فى جسده فيروسًا بالغ الخطورة ، يسيطر على أعصابه المُخَيَّة كلها تقريبًا ، ولسنا ندري ما الذى يمكن أن يفعله به فى البداية .

تراجعت فى هَلَع ، وهى تغمغم :

— فيروس بالغ الخطورة ؟!

أوما الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى أسف :

— هذا صحيح يا بُنْتِى .

سالت الدموع من عينيها ، دون أن تدري ، وهى تغمغم :

— وماذا سيفعل به هذا الفيروس ؟

أشار إلى (رمزى) ، قائلاً :

— نفس ما فعله مع (رمزى) .

التفتت إلى (رمزى) ، وتطلّعت فى خيرة إلى نظراته

المرتبكة ، الحائرة ، الشاردة ، ثم عادت تلتفت إلى الدكتور

(حجازى) ، وتسأله فى توتر :

— وما الذى فعله بـ (رمزى) ؟



أوما الدكتور (حجازى) برأسه إيجاباً ، وهو يقول فى أسف :
— هذا صحيح يا بنيتى ..

تطلع إليها الدكتور (حجازى) فى إشفاق ، ثم اقرب منها ،
ووضع يده على كتفها ، مغمغماً فى تعاطف :

— اسمعى يا بنيتى .. لقد خاض (نور) تجربة عنيفة ، قبل
أن يعود إلينا .. تجربة عاش خلالها فى عالم خاص .. عالم
آخر ، يختلف تماماً عن عالمه الذى يعرفه ، ولكن عودته تغنى
أنه قد أدرك كل شيء ، وأنه قد عاد من العالم الآخر ، وعرف
حقيقته ..

وصمت لحظة ، ثم أردف فى قوة :
— وهو يعلم الآن حقيقة ذلك العالم الآخر .. ويعلم أنه لم
يكن سوى فى رأسه .. فى رأسه وخذه ..

زفر قائد القاعدة الفضائية المصرية ، وهو يقول فى توثر :
— إنها تجربة رهبة يا دكتور (حجازى) .. صدقتى ..
إننى لم أشعر بمثل هذا التوثر فى حياتى كلها
ثم أشار إشارة مُبهمة ، مستطرداً :
— إننا نحفظ بذلك الرائد فى حجرة خاصة معزولة ، وإن
كنت أجهل ما الذى أصابه !

غمغم الدكتور (حجازى) :

ثم تنهد في عمق ، قبل أن يستطرد :

— عندما احترق مكوك (نور) الفضائي تلك السحابة الفيروسية ، أصيبت أجهزة المكوك كلها بالخلل ، فيما عدا برنامج العودة ، المؤمن جيداً ، ولكن بعض الفيروسات الفضائية تسلت إلى الداخل ، وإلى جهاز (نور) العصبي ، ففقد وعيه ، وعاد به المكوك إلى الأرض .

صمت لحظة ، قلب خلالها شفتيه ، وكأنما يعجب لما حدث ، قبل أن يستطرد في صوت عميق :

— ولقد حدث خلل طفيف في برنامج العودة وبدلاً من أن يعود بالمكوك إلى القاعدة هنا ، انحرف به إلى قرب شاطئ البحر ، بعد مدينة (مرسى مطروح) بعدة كيلومترات ، وعندما استعاد (نور) وعيه ، كان ذلك الفيروس قد سيطر على أعصابه المخيئة ، فأصابه بالصمم ، وأصاب عصبه البصري بخلل عجيب ، أدى إلى إصابته بعمى ألوان كامل ، وإلى استقباله الصور والمشاهد على نحو سلبى (نيجاتيف) وباللونين : الأبيض والأسود ، تماماً كما حدث لـ (رمزى) في المعمل .

غمغم قائد القاعدة :

— يا إلهى !!

استطرد الدكتور (حجازى) ، وكأنما لم يسمع ذلك التعليق :

— وهكذا تصوّر (نور) أنه قد انتقل إلى عالم آخر ، وأن كل هؤلاء الرجال ، الذين يحاولون إنقاذه ، وهم يرتدون الأزياء الواقية ، هم أعداء ، أو هم مخلوقات ذلك العالم الآخر ، يحاولون أسره ، وكان من الطبيعي أن يقاومهم ، وأن يقاتلهم بكل شراسة .

غمغم القائد :

— لقد حاولوا شرح الموقف كله ، ولكنه لم يستمع إليهم .
ابتسم الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

— بل لم يسمعهم ؛ لأنه لم يكن يسمع بالفعل .
أوما القائد برأسه متفهّماً ، وقال :

— هذا صحيح ، فحتى عندما أحضروه إلى هنا ، دخلت أنا ومساعدى لمقابلاته ، ونحن نرتدى الأزياء الواقية ، ولكنه بدا لنا عجباً ، وهو يتحدث إلينا كما لو كنا مخلوقين من كوكب آخر ، ثم فوجئنا به يهاجمنا في عنف ، ويجبرنا على إيصاله إلى المكوك ، ولقد أظعنناه ، خشية أن تسوء حالته ، إلا أنه لم

يكذ يعلن عن رغبته في الاستيلاء على المكوك ، والإقلاع به إلى الفضاء ، حتى حاولنا منعه بكل الوسائل الممكنة .

صمت لحظة ، ثم استطرد في تردّد :

— وأصنّفك القول إننى أمرت بقتله ، لولزم الأمر .

مطّ الدكتور (حجازى) شفّيته ، مغمغمًا :

— لقد كنت تؤدّى واجبك .

ثم تنهّد ، وسأله :

— أين هو الآن ؟

ابتسم القائد ابتسامة باهتة ، وقال :

— سأقودك إليه .

ثم عاد يسأله في اهتمام :

— ولكن كيف سيمكنكم منع ذلك الفيروس من

الانتشار في الأرض ، عندما تصل تلك السحابة إلينا ؟

أجابه في هدوء :

— إننا نعدّ الآن مصلاً واقياً ، سيتم إعداد آلاف الجالونات

منه ، خلال عشرة أيام ، على أن يتم تطعيم كل فرد في العالم به ،

خلال أربعة أيام لا غير ، وبعدها سينتهى كل شيء .

سأله في لهفة :

— وهل ستنتهى تلك السحابة إلى الأبد ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفياً ، وقال :

— كلاً .. أظنها ستعود بعد ألف عام .. أو ألفين ..

وسيكون على الأجيال القادمة أن تستعدّ لذلك .

وابتسم ، مستطردًا :

— ولست أظنهم سيذلون جهداً ضخماً حينذاك .

كان (نور) واقفاً أمام نافذة معزله الخاص ، يراقب

القاعدة الفضائية ، في اهتمام ، عندما لحق به الدكتور

(حجازى) وغمغم :

— حمداً لله على عودتك سالمًا يا (نور) .. كيف حالك ؟

التفت إليه (نور) في ببطء ، وبدا وكأنه يحذق في وجهه

طويلاً ، قبل أن يغمغم :

— معذرة يا سيّدى .. إننى لم أسمعك في الواقع ، ولكن

صورتك قد انعكست على زجاج النافذة ، وأظننى قد اعتدت

الرؤية بتلك الصورة السليّة .

غمغم الدكتور (حجازى) :

— لقد اتخذت الاستعدادات اللازمة لذلك .

وأخرج من جيبه عدة أوراق سوداء ، وقلما أبيض اللون ،
وكتب على الورق بلون أبيض :

— أنا الدكتور (حجازى) .

تهللت أسارير (نور) ، وهو يتف :

— كيف حالك أنت ياسيدى .. معذرة لعجزى عن
تعرفك ، فالرؤية على نحو سلبى مزعجة .

غمغم الدكتور (حجازى) :

— إننى أقدر ذلك .

ثم عاد فكتب ذلك بالقلم الأبيض على الأوراق السوداء ،
ورأى (نور) الكتابة بلون أسود ، على أوراق بيضاء ، فغمغم
متسماً :

— شكراً لك ياسيدى .

كتب الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

— عودتك تغنى أنك قد استجبت الأمر .. أليس
كذلك ؟

ابتسم (نور) ، وهو يومئ برأسه ، مجيئاً :

— هذا صحيح .

عاد الدكتور (حجازى) يكتب :

— كيف توصلت إلى ذلك ؟

تنهد (نور) ، وقال :

— جاء ذلك بمصادفة بحتة .

وعاد يلتفت إلى النافذة ، مستطرداً :

— منذ هبوطى على الأرض ، لم تتح لى رؤية نفسى ، أو أى
من أجهزتى ، فلقد كان المكوك فى الداخل مظلماً ، ثم إنه قد
غرق بعد مغادرتى له ، كما أننى كنت مبهوراً متوترًا ، مشدوهاً
بذلك العالم السلبى العجيب من حولى ، حتى أننى لم أنتبه إلى أن
الحلل فى عينيّ أنا ، وليس خارجهما .

صمت لحظة ، وهو يتسم ، وكأنما يستعيد الذكرى ، ثم
استطرد فى صوت واثق هادئ :

— إننى حتى لم ألاحظ أن زى الفضاء عادة أبيض اللون ،
وليس أسود كما رأيته ، وأن ظل ذلك التناقض يقلق رأسى طيلة
الوقت ، دون أن ألتفت إليه ، من شدة قلقى واضطرابى ،
ورغبتي فى الفرار من ذلك العالم ، الذى صنعتته لمخيلتى .

صمت لحظة أخرى ، شرد خلالها بصره بعيداً ، وبدأ
وجهه للدكتور (حجازى) أشد شحوباً ونحولاً عن ذى قبل ،
وهو يردف :

— ثم أصابتني أشعة الليزر في ذراعي ، وسالت دماي .. لم
أنظر إلى الدماء في حينها ، إلا أنني مسحت كفي بها ، وتطلعت
إليها ، وأنا أقود المكوك مبتعدا ، متصورا أنني أغادر عالما
آخر إلى عالمي ، ولحظتها أدركت الحقيقة كلها ، فلقد كانت
دماي بلالون .. دماء سلبية ، بالأبيض والأسود فقط .. وأنا
والتي كأتى مخلوق حي من أن دماي حمراء .
زفر في عمق ، وأضاف :

— هنا فقط أدركت أن الخلل يكمن في عيني أنا ، وليس
فيما خارجهما .. لحظتها فقط أدركت أن خلتي لم تكن
سوداء ، وإنما هي بيضاء منذ البداية .. وقتئذ فقط رحت
أربط كل العوامل بعضها ببعض .. الصداع العنيف ، وطنين
الأذنين وعمى الألوان الكامل ، والصمم .
وابتسم ، قبل أن يواصل :

— ولكنني لم أربط ذلك بفيروس فضائي في الواقع ، وإنما
بصدمة الارتطام بالأرض .

ابتسم الدكتور (حجازي) بدوره ، وهو يغمغم .
ويكتب :

— هذا طبيعي .

أوما (نور) برأسه موافقا ، ثم تابع في هدوء :

— وكانت هذه الحقيقة تكفي لشرح كل شيء .. ولحظتها
فقط أدركت لماذا حقنتي الرجال بتلك الإبرة .
أجابه الدكتور (حجازي) كتابة :

— كنا نحتاج بالضرورة إلى عينة من دمك ، بعد ما رأينا
عجيب تصرفك ، منذ عودتك من رحلتك ، فلقد استنتجنا أن
جسدك يحوى بعض تلك المادة العجيبة ، وأنها سر جئونك غير
الطبيعي أو المنطقي ، وخاصة بعد أن انتشلنا المكوك ، وعثرنا
فيه على ثقب يسمح بتسرب المادة .

ثم ابتسم ، مستطرذا على الورق :

— ومن هذه العينة أمكننا استخلاص الفيروس
الفُصِّي ، ودراسته ، والتوصل إلى المصل المضاد .

ابتسم (نور) في شحوب ، مغمغما :

— يسعدني أن كنت مفيدا للبشرية .

ثم نصب قامته ، مستطرذا :

— ومن حسن الحظ أنني قد حللت اللغز الآخر في الوقت
ذاته .

تطلع إليه الدكتور (حجازي) في دهشة وخيرة ، ثم كتب
في الأوراق :

— أى لغز آخر ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :
 — لُغز ذلك الكوكب السليبي ، الذي يبدو خلف السحابة
 الفضئية ، هل نسيت ذلك يا دكتور (حجازي) ؟
 ابتسم الدكتور (حجازي) في خجل ، وكتب :
 — كنت قد نسيتَه بالفعل .
 أوما (نور) برأسه ، مغمغماً :
 — عجباً !! إنه اللُغز الأساسي في هذه العملية .
 ثم اعتدل ، مستطرداً :
 — والأعجب أن حلّه أبسط من ذلك بكثير .
 ولوح بكفه ، مردفاً :
 — لقد كانت السحابة فضئية لامعة ، مما جعلها أشبه بمرآة
 كونية ضخمة ، تعكس من زوايا خاصة صورة كوكب
 الأرض ، وعند اقتراب المكوك منها تعكس صورته ، فيبدو
 الأمر كما لو أنه مكوك آخر ، يهاجم المكوك الأصلي ، وهذه
 السحابة المتأينة تؤدي إلى خلل الأجهزة ، وارتباكها ، وإلى
 جعل الصورة المنعكسة تبدو سليمة أيضاً .
 هتف الدكتور (حجازي) في دهشة :
 — يا إلهي !! إنه حل بالغ البساطة بالفعل .
 انتظر أن يعلق (نور) على عبارته ، ثم لم يلبث أن تذكر أنه

لا يسمعها ، فعاد يكتبها ، ويتطلع إلى (نور) ، الذي قال في
 حزن :
 — هذا صحيح ، ولكن بساطته هذه أفقدتنا ثلاثة من
 رؤاد الفضاء .
 غمغم الدكتور (حجازي) :
 — إنه قدرهم .
 لم يكتب العبارة لـ (نور) ، وإنما كتب :
 — بم تشعر الآن ؟
 ابتسم (نور) ، وقال :
 — بجوع شديد .
 وصمت لحظة ، ثم أردف :
 — وبرغبة عارمة في نوم عميق .
 ابتسم الدكتور (حجازي) في حنان ، وكتب :
 — ستحصل عليهما يا ولدي ، وبعدها تبدأ الرحلة .
 توقف لحظة ، ليتطلع إلى وجه (نور) ، ثم تابع :
 — رحلة العلاج .
 ابتسم (نور) مغمغماً :
 — نعم .. رحلة العودة من ذلك العالم الخيف .. العالم الآخر ..

١١ - الختام ..

تطلّع (رمزي) إلى وجه (سلوى) في اهتمام ، ومال إلى
الأمام محمداً فيه جيّداً ، قبل أن يغمغم :

— عزيزتي (سلوى) .. هل تستخدمين أدوات تجميل
صناعية ، مستخلصة من (نيجاتيف) الصُّور ؟
عقدت حاجبها مغممة :

— دُعابة سخيّة .

لُوح بكفّيه أمامه ، قائلاً :

— ماذا تقولين يا عزيزتي ؟ .. أنسيت أنسى لا أسمعك ،
وأنسى أراك على نحو سلبيّ معكوس ؟

ضحكت (نشوى) ، وهي تقول :

— وكيف تراني أنا ؟

التفت إليها ، وهو يقول :

— رائعة .

تضرّج وجهها بخمرة الخجل ، وقالت (سلوى) :

— مازلت أجدها دُعابة سخيّة ، فلقد شفيت أنت
و (نور) من ذلك الفيروس اللعين تماماً .

ضحك ، وهو يقول :

— ولكن هذا لا يمنع أن تعبري كل دُعاباتي سخيّة ،
ألست والدّة خطيبي ؟

ضحكت (نشوى) في مَرَح ، على حين قطّبت (سلوى)
حاجبها ، وهي تقول :

— إنك تجعلني أشعر وكأنني عجوز في التسعين .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— يبدو أن عمرنا يفوق ذلك يا عزيزتي ، لو حسبناه بما
واجهناه من مخاطر وغرائب .

أشارت إلى (نشوى) ، وهي تقول :

— احتفالنا اليوم خير دليل على ذلك ، فلقد كان

(رمزي) زميلنا ، من قبل أن نتزوَّج ، ولقد حضر بنفسه

مولد (نشوى) ، ثم إذا بها تنضج بغتة ، بمعجزة علمية

عجيبة ، وإذا به يتحوّل من صديق لوالديها إلى خطيبها ،

وها هي ذى تحتفل بعيد ميلاد غامض .

غمغم (رمزي) :

— وقرينا سأصبح زوجها ، وستصبحين جدّة لم تتجاوز
الثلاثينات يا (سلوى) .

هتفت ضاحكة :

— اصمت بالله عليك .. إننى أحاول أن أنسى .

ثم التفتت إلى (نور) ، مستطردة :

— أليس كذلك يا (نور) ؟

لاحظت شروده ، وهو يتطلّع إلى النجوم ، فاتجهت إليه

تسأله :

— فيم تفكر يا (نور) ؟

ابتسم ، وهو يلتفت إليها قائلاً :

— فى حياتنا العجيبة يا (سلوى) .. أتعلمين ؟ .. إننا

نعيش فى عالم خاص بنا ..

وعاد يلتفت إلى النجوم ، مستطردًا فى شرود :

— فى عالم آخر ..

[تمت بحمد الله]

لؤلف



نبيل فاروق

العالم الآخر

- كيف انقضّ كوكب سبى على كوكب الأرض؟
- لماذا اضطر (نور) إلى خوض الفضاء ، ومواجهة سحابة قضية غامضة ؟
- أينجح (نور) في إنقاذ الأرض هذه المرة ، أم يضيع في ذلك (العالم الآخر) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ، من أجل الأرض .



التمن لم مصر

وما يعادله بالدولار
الأمريكي في مائة
الدول العربية
والعالم

المؤسسة العربية الحديث
الطبع والنشر والتوزيع
الرياض - جدة - القاهرة - بيروت - دمشق

العدد القادم : الستار الأسود